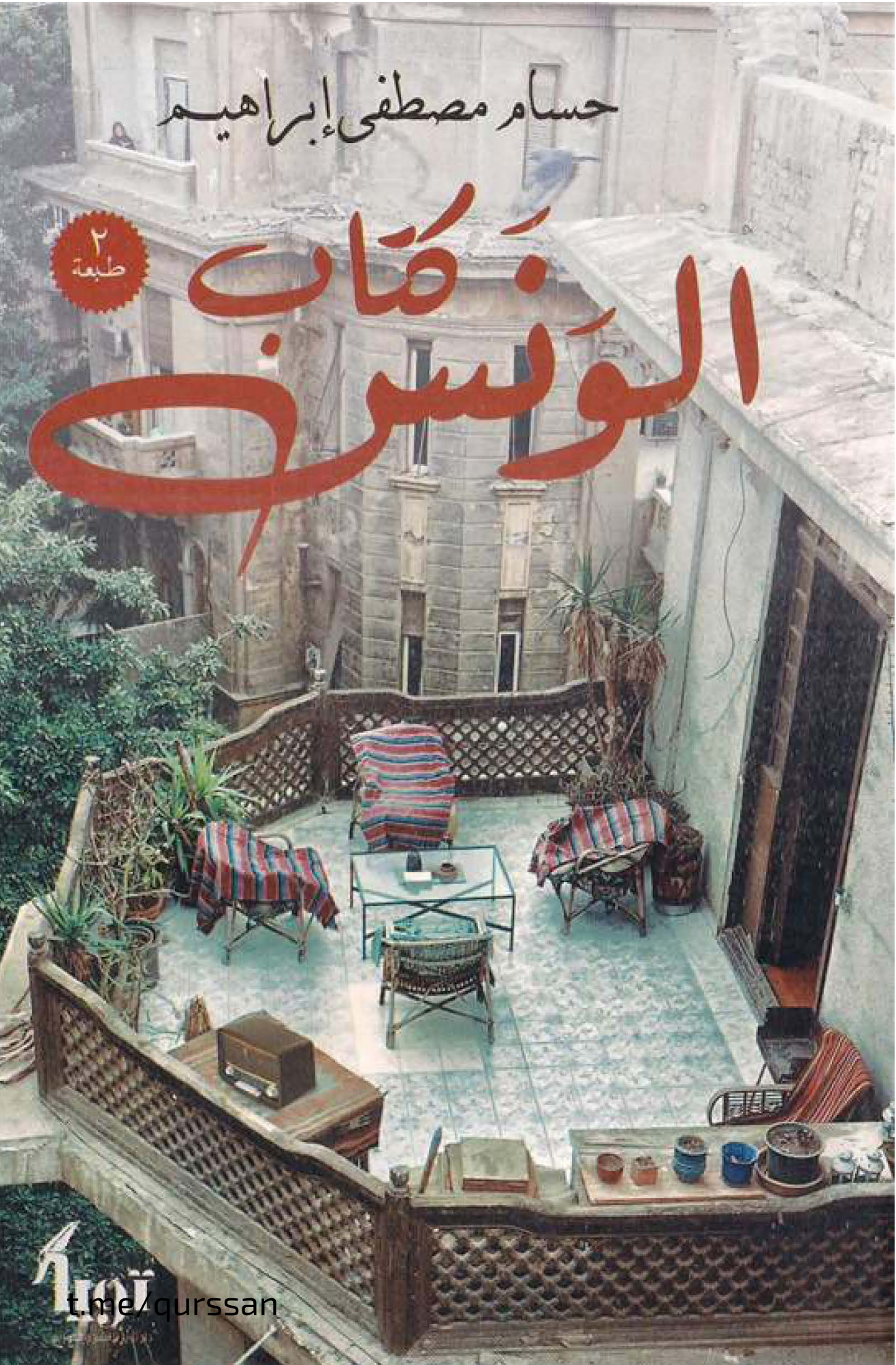

t.me/qurssan

عنوان الكتاب : كتاب الونس
اسم الكاتب : حسام مصطفى إبراهيم
تصميم الغلاف : عبير محمد
فوتوغرافيا : نور المصرى
إخراج فنى : رشا عبد الله
رقم الإيداع : 3762 / 2020
ردمك : 978-977-6729-25-4
الطبعة : يناير 2020
رئيس مجلس الإدارة : شريف الليثى

جميع حقوق الطبع و النشر محفوظة للدار

دار توبا للنشر و التوزيع
دار توبا للنشر و التوزيع Dar.toya 01110102010
6 A Palestine St. New Maady . Cairo - Egypt
www.dartoya.com

t.me/qurssan

كتاب الوَنَس

حسام مصطفى إبراهيم

دار تويا للنشر والتوزيع

t.me/qurssan

t.me/qurssan

إهداء

إلى نورا..
وَنَس الدنيا والآخرة.

t.me/qurssan

t.me/qurssan

نزعات رُوحٍ

كان سؤالًا تركتُه لأيامٍ فوق شفتي
مثل خيطٍ منفلتٍ في سُترتي المفضّلة
لم أستطع مقاومة سحبه
رغم يقيني من أنها قد تنحلّ كلها
من حولي
"هل تحبّني؟"
مبهوتًا
رفعتَ رأسَك عن فنجان قهوتك
تصلّبتْ تعابيرُ وجهك
في تردّدك.. وجدتُ إجابتي!

لانج ليف - ترجمة ضي رحمي

t.me/qussar

t.me/qurssan

فأشمُ ريحَكِ لولا تُفنّدون!

لماذا أتحدّثُ إليك الآن وبيننا ما بيننا؟

لأن كعوبي تعِبتْ من اللفّ على القلوب واستجداء لحظةٍ حقيقية كالتي لفّتنا ولم تَدُم، وبوصلتي تعطّلتْ فلم تعد تشير إلا إليكِ، وكل ما يجري أمام عيني -دونكِ- يبدو هزليًا للغاية ومراوغًا لا يستحق عناء الانتباه إليه!

وَعيي حبُسَ في لحظةِ فراقنا، ومشاعري التفّتْ حول نفسها في وضع الجنين -لتحميكِ داخلها وتضنّ عليّ بانتزاعكِ من قلبها مهما فعلتُ- في انتظار قيامةٍ مُحيية أو موتٍ كاملِ الرجولة يضع توقيعه على تصريح الدفن!

لا أنام ولا أصحو، لا أذهب ولا أجيء، لا أعيش ولا أموت... لقد توقفتُ في المنتصف من كل شيء، واستوطنتُ المساحةَ الرمادية التي لم يَرجع أحدٌ ممن أبحروا إليها قبلًا، ولم أعد أعرف كيف أنحاز.. كيف أفاضل.. كيف أخذ الخُطوة.. كيف...

t.me/qurssan

في لحظات الألم الكبرى.. أرفعُ رأسي للسماء، أحتضنُ المطرَ مُغمضَ العينين فأشمّ ريحَكِ لولا تُفنّدون، هذه السحابات.. علّها تكون قد مرّت فوق رأسكِ لحظةً قبل أن تُنجب قطراتها! أفرشُكِ رملًا على شاطئ الوحدة، وأتمددُ عليه عاريًا بلا حسابات، أبني قلاعًا وقصورًا وحفرًا عميقة أخبئ فيها ألعابي وهزائمي وخوفي من الذين يقتربون حتى تتلامس الأنفاسُ فتنعجن، ثم يبتعدون حتى يصبحوا شُهبا في سماء بعيدة غائمة بلا تليسكوب واحد لرصدها!

يغيضُ الماء في قلبي، فتتقافز أسماكُ حزني مَادةً خياشيمها لأقصى درجة، محاولةً الإمساك بآخر ذرة هواء مغادرة، لقد أيقنتْ من الموت لكنها لا تمانع في نَفَسٍ أخيرٍ وغالٍ يُذكّرها كيف كان يمكنها منذ لحظات أن تنعم بما لم تعرف قيمته وقتها!

تقذفُ كلمةٌ عابرةٌ شجرةَ ذكرياتي، فتهتز وتسّاقط مطرًا أسود يشوي الوجوه ويُحرق الزرع، فلا يبقى سوى يَبَسٍ وفراغ يتمدد حتى يُغلّف المشهدَ كله، وينزع عنه ألوانه، ويترك كل شيء -كقلبي- بالأبيض والأسود.

للوقتِ ثِقَلٌ حقيقي لا يُسعفني الصحاب/التسكع/الرمرمة/الغياب في حمله، ولا طعنه، ولا هدره، فأستسلم -يومًا وراء يوم- لفكّهِ أزرار حزني، زرًا وراء زر، ومروره بعجلاته المسنونة على لحمي، وتركه كل هذه الوشوم التي تستيقظ ليلًا لتهتف باسمك!

ماذا أريد؟

لا شيء.

أنت أكبرُ من قلبٍ واحدٍ وعمرٍ واحدٍ، وأبوابُ مودّتك الموصَدة لم تُخلق ليمرُ منها شخصٌ واحدٌ، ربّما.. في مساحة أخرى من السماح،

t.me/qurssan

يكون لي منك ما هو أعمق قليلًا من التفاتة، وأحنّ من حضن، وأبقى من لمعة نجمة لَقيتْ حتفها منذ عشرات السنين الضوئية...

ربما...

سافرتُ كثيرًا، ولم أصل إلى أي مكان، وقرأتُ كثيرًا ولم أقبض على شيء، فأقعيتُ تحت قدم اليأس، أقلّمُ له أظافرَه، وأقرأ عليه وِرْدَ الفَقد والانتهاك، صرتُ كثقبٍ يتّسع كل يوم لمزيدٍ من الأحزان، أو كمِرآةٍ مزيّفة تمتصّ الضوء ولا تعكسه، فتترك الناظرَ إليها حائرًا خائرًا يتلمّس صورته في زجاجها بلا طائل!

أنا القويُّ الخائرُ، المؤقّت الأزليُ، العليمُ الجاهلُ، الراغبُ النافرُ، المرعب الحنون، نحرتُ وجودي على مذبح غيابي، فاختلطَ رمادي بذرّاتِ ما لم يُخلَق بَعد، فوقف كلانا على قمة هذا العالم لا يشتهي شيئا ولا يخاف شيئًا، لأنّه أدرك أنه كلُّ ما يستحق أن يحصل عليه.

...

ألفلفُ العالمَ سيجارةً، أضعُ طرفها في فمي وأُشعلها، ومع أوّل نَفَسٍ يخرج، تتقشّر حياتي عنّي، وينزّ الوجعُ مع اللذة، تنقرض المدن، تتحوصَل المجرّات، ويبدو كلُّ شيء كـ لا شيءٍ تمامًا تمامًا.

أُدخُن الصحابَ، الفرصَ الضائعة، الحكايات، الشيفتات، الوقت، الخوفَ، الأمنيات، التاريخ، الوَلَعَ، التعلّق، العشمَ، اللهفة...

أُدخُنني..

حتى أتبددَ..

زفرةً.. تلو زفرة.

t.me/qurssan

t.me/qurssan

كيف خسرتُ كل شيء!

أعلـم أنـكِ هنـا، في مـكانٍ مـا، لكنـي لا أراكِ، لا أسـمع صوتـكِ، لا أعـرف إن كنــتِ ســعيدة أم حزينــة، تســتيقظين بابتســامة أم تنامــين والدمعــة عــلى خــدِك، مــا زلــتِ تحلمــين بتغيــير العــالم أم تكتفــين بتغيــير رقدتــك عــلى الفــراش -مــلًلا- مــن حــين لآخــر! وذلــك يقتلنــي أكــثر مــن غيابــكِ، ويجعلنــي أفكّــر في كل المــرّات التــي كان يمكــن أن نكــون فيهــا معًــا ولم نكـن، كل الكلـمات التـي كان يمكـن أن تقـال ولم تُقَـل، كل الاحتـمالات التـي كان يمكــن أن ننحــاز لأحدهــا ولم نفعــل!

الليــلُ خِنجــرٌ ينــدسُ غِيلــة في رقبــة الذكــرى فتنــزُ حنينًــا وحكايــات وصــورًا وأمنيــات لــن تكــون، والنهــار بــثٌّ تجريبــيٌّ ليــوم القيامــة، حيــث الــكلُّ يهــرولُ إلى الــلا مــكان، ثــم يرجــع إلى الــلا مــكان، ويحــدِّق في أعــلى نقطــة ممكنــة مــن ســماءٍ لم يعــد أحــدٌ يراهــا، لكنــه يعتقــد يقينًــا أن الفــرج ســيأتي منهــا!

t.me/qurssan

لا شيء، لا شيء في الواقع يمكن أن يحمل الساعاتِ على المرور في غيابك، أو يقنع الأشياء بالكفّ عن اغتيالي: صورتك الوحيدة التي أملكها/تملكني، رسالة الفراق التي أقرأها يوميًا كوِرْدِ المؤمن، ولَاعتك التي كلّما حاولتُ استخدامَها بالغتْ في مدّ لهبها علّها تطال جزءًا من لحمي!

لا شيء يمكن أن يكوْنَ نفسَه مرة أخرى بعد انطفاء شمعتك في مصباحي، ورحيل حفيف ثوبك عن لحظاتي، واختفاء عطرك من ياقة قميصي!

فجأة كنتُ أملك مفاتِح كل شيء: الحب والجمال والرحمة والمودة والحنان والبهاء والاشتهاء والوله والصبابة والوصل والحِضن والدفء والإيناس والفطنة والحلول والإرادة، ثم فجأة أصبحتُ طريد كل الأبواب، أسير خائفًا متلفّتًا أن تلمحني ذكرى عشناها، أو تتعرّف عليّ طريقٌ سرنا فيها، أو تتذكر ملامحي بهجةٌ سُقتِها يومًا إلى قلبي، لأني أعرف يقينًا ما الذي ستفعله بي!

أمدّ يدي وأتحسّس قلبي في غيابِك فلا أعرفه، ولا أصدّق أنه القلب نفسه الذي كان دقّه يكاد يصبح عزفًا سيمفونيًا خالصًا، ودفقات دمه مروجًا حمراء تسرح فيها الأمنيات ويشتدّ عودُ الأحلام ويبدو كل شيء قاب قوسين أو أدنى!

في الليلِ، عندما كان صوتك ينقطع عني -لتنعمي ببعض الراحة- كنتُ أحدّق في السماء.. فأعثر عليكِ يقينًا، أنتِ هذه النجمة الشاردة التي تشقّ لها مسارًا مختلفًا وإن بعُد طريقُها، أنتِ ذلك القمر الذي يُحوِّل نار الشمس إلى شِعر وإلهام، أنتِ تلك السحابة التي تتهادى فترتاح فوق ما يعنُّ لها من بيوت وأشجار فتغزل سعادتها بنفسها.

t.me/qurssan

فـإذا غيابُـك حُضـورٌ، واحتجابُـك كشـفٌ، وبعـدُك قـربٌ وتـدانٍ حتـى الثُمالـة!

كنـتُ أرفـضُ أن أناديـكِ باسـمك المكتـوب في شـهادة الميـلاد، فقـد استهلكه البـشر قبـل لقائنـا. اخـترتُ لـك اسـم "روح" لأن الله نفـخ في روحـي مـن روحـك عندمـا التقينـا، فلـم أعـد أنـا أنـا، ولم تعـودي أنـتِ أنـتِ، إنمـا اتّصـل سرّانـا واتّحـد مصيرانـا، فتشـقّق عنّـا غـلافُ العاديـة والدينونـة، وانفسـح أمامنـا الكـونُ عـلى مسـاحة تـلاقٍ غـير مسـبوقة، تبوحـين فيهـا وأبـوح، تتكئـين فيهـا وأتكـئ، فتتعشـق جذورنـا أكـثر، وتنجـدل أرواحنـا أكـثر، فـإذا بنـا في معيّـة أحدِنـا الآخـر وجـودٌ متّصـلٌ غـير منقطـع، ورِفقـة مُسـكِرة لا تغيـب!

كنـتُ أرى الله في عينيـك، جليـلًا قيّومًـا، يرحـم عبـاده ويغفـر لهـم مـا أسرفـوا عـلى أنفسـهم فيـه، ويعطيهـم الفرصـة تلـو الفرصـة حتـى لـو كانـوا لا يسـتحقّون، لأنـه الصانـع والمُوجـد الأول، وكلُّ صانـعٍ يتوسّـم في صنعتـه الكـمالَ ويُعينهـا عليـه حتـى تنالـه، أو تهلـك وهـي تسـير عـلى دربـه.

كنـتُ أحفـرُ الوقـتَ فأجـد مقابـر وفراعنـة وكنـوزا ذهبيـة وتماثيـل نـادرة لملـوك لم يعـرف العـالم عنهـم شـيئًا بعـد، وأحفـر التاريـخ فأجـد معـارك وفتوحـات وبطـولات وكـرٌّ وفـرٍ وأسـاطير منسـية، وأحفـرُ البهجـة فأوُلـدُ أفلاطونـا مـرة، ومـرة الإسـكندر الأكـبر، ومـرة إقليـدس والفـارابي وأبـا حيـان التوحيـدي وذا القرنـين ونابليـون، مـرة أكـون سـور الصـين العظيـم، ومـرة دون كيشـوت، ومـرة أهرامـات الجيـزة ومـرة قيثـارة الإمـام الأكـبر ابن عـربي ومـرة سـاعة بـج بـن، دون لحظـة مكـرّرة أو تافهـة أو ثغـرة تتسـلل منهـا العاديـة!

t.me/qurssan

كنتُ رَجُلك الأول والأخير، وكنتِ امرأتي الأولى والأخيرة، مهما عَبَرَنا آخرون، وعَبَرْنا آخرين، إذ لم يعد هناك معنى لأي لحظة لم نكن فيها معا، ولا قيمة لأي لحظة لن يشّكل وجهانا معالمها. لقد اقتنع التاريخ أخيراً أن يُولَد على يديكِ، ويتربّى في عِزّك، ويسير طوع بنانك، كي يستحق تاريخيته.

يا "روح"..

لا تُقاس السعادةُ بالوقت، إنما بالأثر، فضربةُ فأس في أرض بور، وضربة فأس في رأس عنيد، تغيّر كل شيء، وكلتاهما لم تأخذا ثواني لكنهما صنعتا الفارق، وكذا حبك: لم يُطل البقاء لكن أطال الأثر، حتى أصبحتُ أؤرخ حياتي بقبل ميلادي في حبك وبعد طردي من جنتك!

وإذ أحدّقُ في المرآة الآن، فأرى ملامحي ناقصة دون يديكِ تحيطان بوجهي، ورأسكِ ينام على كتفي، أدرك أن هذا التشوّه سيصاحبني للأبد، سيصير الأصل وأصير الصورة. لقد أضعتُ -بحماقتي- فرصة أن أكون حقيقيا في حضرتك، وعليّ الآن أن أظل مزيفا لآخر يوم في عمري!

t.me/qurssan

كعطرٍ استهلكتهُ ألفُ أنفٍ!

لسْتُ على ما يرام يا حبيبة!

أشعرُ بإحباط مُطلَق، مُكتمِلٍ، يأخذُ بيدي ورجلي حتى فراشي كل ليلة، فلا يتركني حتى في الحُلم، يلتفُّ حول عنقي ويضغط قلبي كأنما يريد تسويته بعمودي الفقري!

لم أعد أريد أن أصحو، فيكونَ لي وعيٌ أدرك به كم أنا محرومٌ ومطرودٌ من جنّتك، ولا أريد أن أنام فأراكِ تملَئين ثقوبَ روحي وتُطعمين جوعي فأنتشي، ثم لا ألبث أن أصحوَ على عدم!

الجنسُ ليس تطاحنَ أعضاء ذكورية وأنثوية بعضُها ببعض أملًا في الوصول إلى لذة عابرة، إنّما تمريرٌ لسرّ الخلقِ والميلاد، إحياءٌ للمشاعر وتأكيدٌ لها، شقُّ طريقٍ جديدٍ للتعبير عما لم تعد الكلماتُ قادرةً على حمله، إعلانٌ عن امتزاجٍ مختلفٍ يطوي الحدود والمسافات ويُؤسّس

t.me/qurssan

لقانونٍ جديدٍ في الوصل وفي المحبة، ولادةٌ مغايرةٌ لكلينا معًا -على غير صورتنا الأولى- من رحم الإرادة المشتركة والوعي الكامل واللذة المطلقة!

لم أُردكِ كأنثى، إنما كنيسةً أوقد فيها شموعي ومسجدًا ألقى فيه اللهَ ومعبدًا أضحّي بأنانيتي على مذبحه ووطنًا أستريح على ضفافه وأفردُ روحي المنهكة، وأتنفس هواءً سبق أن مرَّ على أنفك فتعطّر، إرادةً كُبرى تتجلّى في جوفي فتشحن بطاريات روحي الفارغة، كونًا موازيًا أغتسل فيه من كل تفاهات العالم وتفاصيله التي لا تعنيني، ثم أصلي بين عينيك!

الآن، وقد فشِلتُ في وصلِكِ، وانقطعَ حبلُ رجائي فهويتُ من حالقٍ.. لا أريدُ إلا أن أختفي، بالكلّية، يذوبُ أثري كعطرٍ استهلكتهُ ألفُ أنفٍ، كأثر سيارة على رمل صحراء لا يلبث أن يلتئم بعد مرورها...

لا أريد أن أكون!

فإن مُحبًا حُكِمَ عليه -ظلمًا- بالوقوفِ على حافة الجنّة دون أن يلجَها، برؤية أنهار اللبن والعسل تتدفق بين يديه ومن خلفه، دون أن يطالها، لا مبرّر لديه لانتظار النهار كي يُشرق على قلبه فيكشف وحدته، ولا الليل كي يرعى نجومه ويبثه شكواه، بعد أن اتّحد كلاهما على جَلدِه بالحرمان والبُعْدِ ويُتم المشاعر!

كنتِ آخرَ يدٍ ممدودةٍ لي وسط غابات من القسوة، تُزهر كل يوم في قلبي شوك الغُربة، آخرَ رشفةِ عسل يرجوها مريض توشك روحُه على مفارقته، آخرَ سفينة تغادر المرفأ قبل خراب الأرض!

لا ألومك، إنما ألوم حظي الذي أوهمني أنه أصبح أفضل، ساعةً أينعتِ في رُوحي، واجتاحتْ حدائقكِ ذبولي، فإذا به يطعنني الطعنةَ

t.me/qurssan

التي لا قيامة لي منها، ويُذكّرني أنني ما زلتُ أنا: الشريد الحالم الموهوم الذي ينبغي له أن يظلّ على حواف الأشياء والعلاقات دائمًا، فلا يصل ولا يضلّ، لا يَطال ولا يُحجَب، حتى تظل محنته حيّة، تلهب ظهره فيكتب ويكتب ويكتب ويكتب، فتصفق الجماهير ويبكي هو خلف الستار!

t.me/qurssan

t.me/qurssan

أيامٌ طويلةٌ!

أيـامٌ طويلـةٌ أقـاومُ عجـلات الاكتئـاب أن تدهسـني، أضـع أمامهـا كل مـا أملـك مـن متاريـس: الحـب والأصدقـاء والذكريـات ولقمـة العيـش وغريـزة البقـاء والعشـم ومُسـكِّن الفُـرص الثانيـة و"الطعميـة السـخنة" والفـول بالزيـت الحـار عـلى العربـات المجهولـة والشـاي بالنعنـاع في مواقـف السـيارات المنسـية والسـيجارة المختلسـة مـع رفيـق في زحمـة "الشـيفت" والهيـام بـلا هـدف عـلى كورنيـش النيـل سـاعة غـروب وورقـة وجدتهـا بـين مذكـرات والـدي كتبهـا لي لأقرأهـا يومًـا تقـول (قـاوم يـا بُنـي لتَجِـدَ) وديـوان لنـزار قبـاني أهدتـه لي حبيبـة غاربـة وبورتريـه بالقلـم الرصـاص رسـمته لي معجبـة مجهولـة وزجاجـة عطـر أحـنّ عـليّ مـن بعـض البـشر!

لكن العجلات مرّت في النهاية، وفرمت كل شيء!

بسـكِّينٍ.. أحفـر جلـدي بتـؤدة حتـى ينـزُّ الـدمُ وتتقـشرّ الخلايـا: "لا تتعلّـق"، ثـم أضـع عليـه كل مـا تطولـه يـداي مـن "فـودكا" ودموع ليشـتعل ويُـضيء عـلى بعـد ألـف كيلـو مـتر، فيعاينـه العميـان.

t.me/qurssan

يهزمني الوعي المُفرط بالأشياء، رؤية كل شيء قبل أن يحدث، توقّع الخيانات والخذلانات قبل لحظة الملامسة، معرفة كل ما قيل وما سوف يقال في كل المواقف والحكايات، كأني جئتُ مرارًا ها هنا منذ عالم الذّر، لأملأ جعبتي بالندوب والفقد، ثم عدتُ لانتظار دوري في كل صفٍّ، لأقرأ سورة "وجع القلب" -بلا نهاية- مع كل تالٍ لها!

يقضمُ الليلُ ذيلَ النهار، ويقضمُ النهارُ ذيلَ الليل، تمرّ السُحُب في سقف غرفتي، فتُبخّر دموعي وتعيد إنتاجها مطرًا حمضيا يُذيب روحي فيما يترك الملاءات البيضاء جافة كنصيبي من الوَنَس!

أقرفصُ وظهري إلى الحائط، أحدّق في أطراف أصابعي، حيث كانت تقبعُ الأشياء التي أحب، قبل أن تتقشر عن جُرح جديد يواصل -دون كلل- رفع رصيدي من الخيبات، وفرم قلبي بالندم والعِوَز، وتعريتي من كبرياء زائفة وبطولة لا أملكها لأقف أمام قِبْلة الهزيمة، أُصلي دون وضوء وأسجد دون أرض ثابتة تحت رأسي!

أهذي لطيفك: "لا ترحلي الآن، بإمكاننا أن نقاوم سرطان الفراق عاما أو عامين آخرين، أريح فيهما رأسي على صدرك وتتركين يدك لغابة أصابعي، وحين تأتي القارعة، سيكون لدينا الكثير لنرويه في طريقنا للجحيم، سنضحك، رغم النهاية، ونشعر أننا فعلنا ما بوسعنا كي ننتصر".

تتفتّتين!

t.me/qurssan

الملـمُ أطـرافي، أتجمَّـع، أتداخـلُ في ذاتي، أتكثّـف، أحـاول أن أكـفَّ، الا اكـون، أصبـح ذرةً، أمـزّق الأغشـية، الكِفايـات، أتضـاءل أكـثر، أتقلّـص، أغيـض، أحتشـد.. فأعايـن.. ألمـسُ الشـعرةَ الواهيـةَ بـين الوجـود والعـدم، بـين فـرط الحـب ومُطلـق الكراهيـة، كامـل الامتـلاء وجـبروت المَسْـغَبة، عنفـوان العثـور وهـول التخـلّي، فأحـلُ في سرمـد الـسرِّ وجوهـر المعنـى.. لـم انتـثر كأن لم أُولـد قـط.. أتبـدّد.. فـلا يعـود بإمـكان أحبّتـي إيـذائي ثانيـة ابـدًا.

t.me/qurssan

t.me/qurssan

إلى خائفة!

الرسالة الأولى

عزيزتي...

لم أنم أمس إلا قليلاً!

لعبة السؤال والإجابة فتحت في قلبي نافورة أسئلة!

سؤالٌ جرّ سؤالاً جرّ سؤالاً حتى تصبب لي عقلي الحكمة!

لماذا دفعنا هذه الأثمان الغالية مقابل لا شيء؟! ولماذا مضى العمرُ سريعاً هكذا دون أن يمنحنا ما نستحق، ودون أن نحصل فيه من المتعة ما يليقُ بجمالِ أرواحنا وفوران مشاعرنا وثورات أجسادنا؟

ولماذا كل هذه القيود الشنيعة من حولنا، رغم أننا نضجنا وكبرنا وذقنا، فلا يستطيع المرء منا كسر كود المجتمع والبوح بمشاعره

t.me/qurssan

عندما تملكه، لاعتبارات بلهاء، والتزامات ذاتية، ما أنزل الله بها من سلطان!

لماذا لا تكون الأمور أبسط من هذا، ويكون بإمكاننا دائمًا أن نستجيب لفطرتنا، ونحتضن من التقت روحُنا معه بعد غياب، وندخله، ويدخلنا، ليتصل السرُّ بالسرِّ، والبوحُ بالبوحِ، ونُعيد عدّاد المسافات إلى الصفر، ونخترع كونًا آخر جديدًا لا فراق فيه ولا نحيب!

لماذا لا يفارقنا هذا الوجعُ، ونُصر على الذهاب بصحبتنا إلى أسرّتنا والالتفاف حول أعناقنا وقلوبنا حتى ننام؟

أين نصيبُنا المفروضُ من النشوة والري والشبع بعد كل هذا المشوار الصاخب الطويل؟!

أتذكّر آخر مرة رأيتُك فيها، آخر لقطة، وجسمُك المرن الرقيق المرسوم بدقة -رغم حمل السنين- يتخذ هيئة الوداع، فتُوليني ظهرك الحني قليلاً للأمام، وتتحرّكين ببطء -يستثقل المغادرة!- إلى التاكسي، وتختفين تدريجيا، مُخلفة -في المسافة بيني وبينك- رائحة مودة لا تخطئها عينٌ، وحكايات لم تتم، ورغبات لم يُصرّح بها، وكلمات لم تُقل، وخيط ألفة أجذبه الآن وأنا أتذكر كلماتك، فأضحك على ضحكك وأتجهم لحزنك وأكرر مقاطع بعينها من حديثك أجد فيها لذة لا تُعوّض!

والسلام

t.me/qurssan

الرسالة الثانية

عزيزتي...

طالعتُ كلامكِ فتجاهلتُ تمامًا ظاهره، وما تُوحي به الكلمات للوهلة الأولى، ثم سبرتُ باطنه، فإذا بي ألمسُ كلَّ ما لم تقوليه ولم تخطّه أناملكِ الرقيقة!

لقد تعوّدنا أن نسير حاملين فوق أكتافنا إرثًا ثقيلاً طوال الوقت، قوامه ما يجب وما لا يجب، وكلام الأهل والعائلة، والتقاليد والعادات، والدين، والمجتمع والناس، حتى انطمست ملامحنا الحقيقية تدريجيًا، وفقدنا بشريتنا وفرادتنا، وتحوّلنا إلى صور مكرّرة وباهتة من أحدنا الآخر. فقط كي نحظى بصلة الانضمام إلى القبيلة الإنسانية ونأمن شرها!

لكن "القبيلة الإنسانية" لا تذهب معنا إلى الفراش آخر الليل، وتحدّق معنا في هزائمنا وانكساراتنا ورغباتنا المحمومة، لا "تقرفص" على طرف الفراش منكمشة حول نفسها مثلنا، هاوية في بكاء لا ينتهي إلا ليبدأ ونحن ننظر إلى السقف فنرى أحلامنا تُشنق أمامنا، حلمًا تلو الآخر، ونحن عاجزون عن نجدتها!

بل لعلنّا نظلّ سادرين في هذا الغيّ، حتى لحظة الملامسة، لحظة الحقيقة والرغبة، لحظة تقشّر البرود عن مشاعرنا الطبيعية التي تملكها حتى الحيوانات، إذ إنها تُصرّح بما يعتمل في نفوسها بلا مواربة، وتمارس الحب في الهواء الطلق وتباهي بأعضائها التناسلية، حتى لتفوقنا "إنسانية" حقًا في هذه المساحة!

t.me/qurssan

وأنا رجلٌ مُتعبٌ يا صغيرتي، وحزينٌ، ومثقلٌ، لم يعد لديه وقتٌ للمماطلة، وألاعيب الفتيات الصغيرات، وعلامات التحذير على أبواب المدينة.

رجلٌ عاش -ربما أكثر مما ينبغي!- يتبعُ الكودَ الأخلاقي لكل كبيرة وصغيرة في حياته، حتى خسر كل شيء، في النهاية وضاقت نفسه بما رحبت، فكفر بالكود وبالأخلاق وبالحياة، وكرّس وقته لمخالفة أنظمة القبيلة وكسر كل علامات المرور!

رجلٌ، يتسلى المرضُ ببدنه كأنه "سناك"، ويهدّده في أعز ما يملكُ، حتى ليُقلّص فرصه في الحياة إلى حدّها الأدنى، ويضع سيف الوقت مُسلطًا على رقبته، فإن لم يصبح فاعلاً، فلا شكّ أنه سيكون مفعولاً به!

رجلٌ مُخيفٌ، لا يهاب خناقات الرجال وأفلام الرعب والألعاب العنيفة والشطّة المُحرقة و"تعدية" الشارع من وسط السيارات المارقة على الطريق الدولي وإعطاء نفسه حقن الوريد، سريع الإيقاع لدرجة لا تستوعبها عقارب الساعة تائهًا من حوله، يختصر الزمن والحالات والكلام ويقفز فوق التوقعات، حتى ليفترس الجميع من خلفه ومن أمامه، هلعًا من نفاذ بصيرته وطول يده!

وإنيّ إذا أدمنتُ.. نلتُ، وارتويتُ، ورويتُ، حتى الثمالة، حتى تمام الري، وإلا... فارقتُ لآخر العمر، فلم يعرفني إنسٌ ولا جنٌ طريقًا لي ولا مستقرًا.

وإني أرى ما في قلبك الآن، وأمدّ يدي والمسه.. فأنتشي!

والسلام.

t.me/qurssan

الرسالة الثالثة

عزيزتي...

قرأتُ استغاثاتكِ بين السطور، أنتِ على حافة الحافة، أدركُ شكوككِ العميقة بالفعل فيما ألزمتِ نفسكِ به، ما بين التشبث بأي شيء، وكل شيء، كي لا تسقطي -من وجهة نظرك- وتصبحي "بشرية" كما خلقك الله، تستمتع بالحياة وبالحب وبما زرعه الله في قلبها من رقة وعاطفة .. حولك يكفي العالم كله!

هذا نتاج التربية "المبالغ فيها" التي حظي بها جيلُنا، والحس الأخلاقي غير المنطقي الذي زرعوه في دمنا، حتى ربطنا دائما بين المتعة والحرام، والاستجابة لقلوبنا والعيب!

لقد تغيرتْ فطرتنا، ومُسختْ إرادتنا، وأصبحنا مجرد آلات في خضم مجتمع لا إنساني يرسم لنا كل خطوة وحركة، نسعى لإرضائه طوال الوقت، ولو على حساب رقائقنا المعدودة على ظهر الأرض، وحتى لو كنا قد سبقت وقدمنا قلوبنا قربانا له من قبل.. فالتهمها!

ويمكنني -ببضع كلمات- أن أكشف لكِ زيف كل ما تدرسين خلفه، وما تستدعينه اليوم لساحة النقاش، وما تصورينه من أوهام عن غد، والمصير الذي ينتظر أمثالنا من ذوي المشاعر المرهفة -الذين أرهقهم طول المسير!- في نهاية نفق الزهد والترفع وإنكار احتياجاتهم، عندما ينفض السامر،

t.me/qurssan

ويرحل الرُّعاة، ويتفرّق الأهل والأبناء، ولا يبقى سوانا مع وحدتنا وذكرياتنا المبتورة وأحلامنا المشنوقة.. لكنني لن أفعل. هي خياراتنا في النهاية ونحن من سندفع الثمن وحدنا، لذا نستحق أن نختارها.

أنا سيئ الحظ جدا يا صغيرتي، حقيقةً، وغير موفق بالمرّة في قراءة النُذر والعلامات، موهوب للمحنة كأننا توأمان، فكلّما هممتُ أن أصل امتدّ طريقي أكثر وتشعّب، وكلما لمحتُ راسي وسادة آمنة، انكشفتْ عن صخرة جديدة تنتظر أن تدق عنقي، وكلما امتدّت يدّ حسبتها -لفرط سذاجتي- تسعى ليدي، انحرفت إلى قلبي وعصرته!

في ظروف أخرى كنتُ لأتقبلَ الهزيمة على يديك بصدر رحب، وأعتبرها جولة في سباق تهمني جائزته، بل ربما أعدتُ الكرّة مرات ومرات حتى أنال، لكنني لستُ صيادًا، ولا أنتهز لحظات ضعف الآخرين واحتياجهم للونس، كي أقايضهم على حيواتهم، ولو أخذتُ خطوة إضافية نحوك، ستقعين في حبائلي، لكنه لن يكون إلا نصرًا ماسخًا بطعم القناعة والعوز وقلة الأصل، لذا.. سأتراجع إلى آخر آخر الصف.. كالرسوم الباهتة في كراساتنا القديمة المهملة، والوردة المجففة المنسية سنينًا في كتب محاضرات الجامعة!

صغيرتي...

إننا لا ننسى الشُهُب التي تُضيء ظلام قلوبنا حينما يحالفنا الحظ مرّة ونلتقاها، فتُحيي موانا وتمنحنا لحظات من البهجة والأمل، لا ننسى عرائس البحر التي زارت أحلامنا مرات

t.me/qurssan

[illegible] في القمر ووعدتنا بليالي صاخبة من المتعة والتحقق،
[illegible] عندما تصوّرنا القمر وجهًا مبتسمًا لنا وحدنا في لحظات
[illegible] القليلة على الحياة، ولا ننسى كذلك ألم الخسارات
[illegible] التي كنا ننتظر منها رأب الصدع في حياتنا المتهالكة فإذا
[illegible] على ما تبقى منا!

أسألك الله، وأفاء عليك من نعمه ما يحول بينك وبين
[illegible] يومًا على ما تفعلين بنفسك وبي.

والسلام.

t.me/qurssan

t.me/qurssan

بِعِلْمِ الوُصُولِ

الحبُّ مثل كتابٍ مُصوَّر
هشّ وضعيفٌ
أفضل ما يمكن أن نفعل لأجله أن نحميه
بأي طريقة غريبة ممكنة:
نُغلّفه بالبلاستيك والكرتون
نحفظه في غرفٍ مُظلمةٍ وصناديق
هكذا، يمكن لشيءٍ لم يُخلق ليبقى
أن يصمدَ سليمًا لعقدٍ إضافيٍ،
في بيتٍ آخر أو سندرةٍ أو بدرومٍ
..

إيف ل.يوونج – ترجمة ضي رحمي

t.me/nurssan

t.me/qurssan

يوم...

كل يوم، يستيقظ واضعًا يده على قلبه، سوف تتّصل به الآن، أو تهتز أوّل لقاء بينهما، لتقول له "كل شيء قسمة ونصيب".

يعرف أنها لا تحبّه، وأنها تضعه على "الرف" لـ"وقت عوزة"، ومع ذلك يستمر موجودًا في مدارها.

يفعل كل الأشياء التي تُبهِجها، يستمع لشكواها بالساعات، يردّ عليبتها ويلتهم كبد مَن يتفوّه بكلمة عليها، يمنحها آلافا من قطع الشوكولاتة ويتمسّك بالأمل، وهي لا تفعل في كل مرة سوى أن تبتسم، فقط تبتسم، ولا تقول شيئًا.

يستمرّ في النزيف، وتستمرّ في الابتسام!

يقطع ألسنة الناس التي تقيم في أذنه ليل نهار: "إنها تستغلّك"، يضحك في استهزاء، ويؤكد لنفسه أنه لا يريد أكثر من أن يكون في محيطها عندما تفعلها وتضحك، هذه الضحكة، هذه الروح، المبرر

t.me/qurssan

الوحيـد لاسـتمراره في فعـل أي شيء في الحيـاة. يهمـس: "يـا ليـت قومـي يعلمـون".

كل يوم، يستيقظ واضعًا يده على...

يا صديق!

سيبقى رقمي..
آخر ما تطلبينه..
بعد سهرة صاخبة معه..
تشكين لي برودَه وأنانيته..
تحدّثينني عن عينيه اللتين تصفُحتا جميع النساء في حضرتك، ولم تلتفتا إلى فيروز عينيك..
إلا لحظة اللقاء ولحظة المغادرة..
طموحاته التي لا مكان لكِ بينها..
غزواته التي يقصّها عليك.. امرأة امرأة..
غير ملتفت لاتّساع حدقتيك ومارانون الدموع داخلهما..
ثم تختمين حديثك بالكلمة التي أكرهها أكثر مما أحبّك: تصبح على خير.. يا صديق!

t.me/qurssan

الزاهد

ينظرُ إلى السماء بتردّد، بعد أن زهدتْ عيناه ما سواها.

يجوسُ فيها برهبة وقلبُه ينبضُ بقوة موجعة، كمن يسعى للتيقن من الجدوى قبل البوح، والتحقّق قبل الكشف، فظهرُه أصبح للحائط، وبداه بلا أصابع، ولا سبيلَ لديه على الأسباب.

همْ، ثم أحجَمَ، ثم همَّ، ثم أطرَقَ، ثم رفعَ عينيه في إصرارِ اليائس وشجاعةِ المُساق، ثم فتح شفتيه وهَمَس من أعمق نقطة في روحه:

- ربِّ إني مسّني الحبُّ وأنت أرحمُ الراحمين!

لو أذِنَ..

قالت: أتعلم ما خلف الباب الذي تراه موصدًا في وجهك.. تطرقه بجماعِ قوّتك ليلَ نهار ولا يأتيك من ورائه خبرٌ.. تتسمع أخشابه علّها تُفشي لك شيئًا من السرّ؟

امرأة تحجز بابك بجميع كتلتها.. تحبس صوت بكائها ونشيجها بكلتا يديها.. لا تشتاق لشيء مثلك.. لا تملك من نفسها قوةً حتى تقفَ كالرجال في مواجهتك.. كلّما حاولتْ أن تلملم شتات حزمها.. خارتْ وسقطتْ باكية من فرط الحب والاشتياق إليك.

فلو أُذِن لذاك الباب أن يُفتح يوما فلن يطأه إلاك.. ستجدها تقفز فيك.. كما يقفز الأطفال في حضن البحر!

t.me/qurssan

لا برّ

كنتُ أفتّش عن أي كلمة تصلُح لبدء حديثٍ شائق معها، حديثٍ مُخزَّن في السراديب البعيدة من سنوات، حديث يُقشّر البرودة التي غلّفتْ حياةً انفلتت من بين أصابعنا فجأة، لكنّي -كالعادة- كنت أتوه في منتصف الطريق، فلا يتبقّى مني إلا اللهاث واللعثمة ولمعان العيون وحركة رأسي العصبية التي تحاول أن ترسو على برّ!

ليلة قدرك

ترفضُ أن تأتي باسمها من قائمة الاتصالات، تستمتع بموسيقى كل رقم، فيما تطلب نمرتها بتبتّل، وبينما تبلع ريقك، وتلتقط أنفاسك على مَهَل، مع قرب اشتباكها بعالمك، ترقبُ عيناك شاشةَ الموبايل بحذر، كمن ينتظر صحيفته؛ بيمينه أو شماله، حتى إذا هلّ صوتُها، بعد لحظاتِ سكونٍ مشحونةٍ بألف احتمال، وملأ فجوات قلقك، وأترَعَك بالبهجة، تبسّمتَ، وأدركتَ ليلةِ قدرِك!

جميلة!

أنتِ جميلةٌ كفِقرةٍ بلا أخطاء لغوية، مثيرةٌ كخبرٍ في قائمة "الأكثر قراءة"، صاخبةٌ كـ"النيوز روم"، ممتعةٌ كمقدّمة تحقيق كتبها "محمد حسنين هيكل"، طيّبةٌ كمديرٍ وافق على إجازة يومين دون وجع قلب، عظيمةٌ كلحظةِ انتهاء "الشيفت"، مستحيلةٌ كصمودِ المُرتّبِ لثاني أسبوع في الشهر!

t.me/qurssan

180 نبضة/دقيقة!

لم أقل لها "أحبّك" قطُّ، فمشاعري نحوها انطلقتْ من نقطةِ الصفر، إلى 180نبضة/دقيقة، خلال ثانيتين من وقوع العين في العين، فتجاوزتْ تلك الكلمةَ السحريةَ بقرونٍ، وأصبح من المُهين والساذج جدًا، أن أصفَ علاقتنا بالحب فقط!

المارد

رأيتُ فيما يرى النائم أن بيدي مصباح علاء الدين، ولما دعكته خرج المارد بادرته:

شبيك لبيك عبدك بين إيديك.

فارتجّ عليه ودُهش لتغيّر الحال، ونظر حوله متوجسًا، ثم لمَّا منَّ الله عليه فتح فمه أخيرًا:

-لكن...

قاطعتُه:

- لأني أحبُّ، صرتُ أملك كل شيء، ومن فائض ما لدي يمكنني أن امنح وأجود.

t.me/qurssan

ضحكة

تتحوّل ابتسامتُها لضحكة رقيقة، تُنير وجهها كله، فألتقِطُها بحرصٍ وأضعُها فوق رفوف الذاكرة، وأتأكّد من تسكينها في مكان بارز، كي أستعيدها مرّات فيما بعد، وأُحيي بها ليلي، وأصل ما انقطع من مودّة بيني وبين البهجة.

السيرُ جوارها في الطريق لا يزال أمرًا مدهشًا بالنسبة لي، فكيف -رغم مئات التفاصيل!- لا يعود هناك أحدٌ سوانا، لا العربات ولا الأرصفة ولا الشجر ولا العابرين ولا الأصوات؟!

فقط نحن، وخلفنا فراغٌ وأمامنا فراغٌ، نشقّ الطريقَ فنُضفي الحياة على ما تقع عليه أعيُنُنا، لا يلبث أن يفقدها ويعود جمادًا أخرس بمجرّد تحوّلنا عنه!

قد حَضَر!

وإن رأيتَه قد أطرَق فجأةً، وانقطعَ، وابتسمَ في أنسٍ، وبدا غائبًا عن كل المحيطين به، فاعلم أن حبيبَه قد حضر، وأشرقَ في روحِه، فقامتْ قيامةُ حبِّه!

زادته الأسباب!

مَنْ أحبَّ لسببٍ وتعلّق لغايةٍ، يُوشك حبُه أن يزولَ بفوات السببِ وانقضاءِ الغاية، ومَنْ أحبَّ بلا سببٍ، زادته الأسبابُ كَلَفًا وتعلّقًا ويقينًا.

t.me/qurssan

الكامل والناقص

لا يشعر "الرجلُ" باكتماله إلا في حضن امرأة يُحبها، وإن فاته ذلك..
.. ان ناقصًا!

السر

كنّا قد تجاوزنا تلك المرحلةِ، التي يتّكئ فيها الإنسانُ على اللغة، ويعبّرُ عن مشاعره بالكلام، فيصيبُ مرةً، ويخطئ مرّاتٍ، وصرنا إذا نظر أحدُنا إلى الآخر، أو لمس يده، أو حتى خطر بباله، اتّصل السرُ بالسرُ، وانكشفتْ المعاني، وانداحتْ النوايا، وسطعت المقاصد.

نعيم الملاطفة

أرتدي حُبّك كِمَامةً..

أنقّي بها العابرين إلى رئتي..

وأفضّل من مودّتك..

مضادًا حيويًا ضد الفهم أكثر مما ينبغي..

مُذ ترامتْ جذوري في تربتك..

وأنا على يقين

أنني في ولادتي الثانية..

لا أرغب إلا أن أكون دبّوسَ شَعرٍ في مُنسدَلِ جدائلك

t.me/qurssan

أو سلسلةً تتمدّد على مفرِق نهديكِ

أو غمامةً تصحبك بعضًا من نهار

ثم تُمضي باقي عمرها تتحدّث عن نعيم الملاطفة

حبّك!

كمَخرجِ طواريٍ وحيدٍ في بُرجٍ يحترق: حبُّك!

الاختيار

حُبّك ليس اختيارًا، الاختيار أن أحبّك جدًا جدًا أو أحبّك جدًا جدًا جدًا.

الصّفُ الأوّل

لو كان وجهكِ رسولًا..

فقد آمنتُ بدينِ الحُبّ.

ولو كانتْ عيناك قرآنا..

فأنا أوّل المرتّلين.

ولو كان قلبكِ إمامًا..

فلن تفتقدينني في الصفّ الأول ما حييت.

t.me/qurssan

تورط!

قلت لك "أحبك"، بمجرّد أن استيقظتُ من النوم، قبل أن يتورّط فمي في الحديث إلى غيرك، أو تتلوث عيناي بالنظر إلى سواكِ.

لا يهم!

قلت لها وأنا أتشبّثُ بما طالته يدي من ثيابها: لا يهمّ الطريق إذا عرفنا الوجهة، ولا تهم النهاية إذا كنّا سننتظرها معًا، وكل آخر: أوّل.. لابد لو أثبتُّ جدارتنا به.

المسبحة!

بَخلتِ عليّ بمئتي مترٍ من النور..

كنّا نقطعُها..

والقلبُ في القلبِ..

والكلمةُ طائرٌ أخضرٌ..

يُرفرفُ بين فمّين..

فتبدو الدنيا أجملَ من الجنّة..

بَخلتِ..

فـ"انفرط القلب كالمسبحة"!

t.me/qurssan

شجرة

ذَكَرَها فجأة وهو بين جَمْعٍ من الناس، فغاب الناسُ وغابت نفسُه، ولم يبق سواها في مرمى روحه، نظر إليها بعتابٍ، فخذله العتابُ ورفض أن ينالَ منها، حدّق فيها بلومٍ، فهرب اللومُ ولم يقترب من حماها، رمقها بحزنٍ، فتكسَّر الحزنُ على عتباتها، وأنبتَ شجرةِ يقطينٍ أظلّتها، فتقشّر قلبُه عن نظرةِ شوقٍ عفيٍ جائعٍ مهزومٍ، لاذتْ بحضرتها وأقعَتْ تحت قدميها، ولمّا اختفى نورُها وعادَ النّاسُ وماتتْ الشجرةُ، بقيتْ نفسُه هناك، في حضرةِ الحضرة، ونورِ النور، وظلِّ الظلّ، وبراحِ الذكرى، ورحمةِ المستحيل.

وكل ليلة...

الليلة.. سأجلسُ في آخر الصفِ مع الجمهور..

لن أمسك يدكِ وأنت تصعدين خشبة المسرح..

لن ألفتَ انتباهكِ لأحمرِ الشفاه الزائدِ وثنيةِ الثوب التي تحتاج كيًّا..

لن أكتبَ لكِ السيناريو وأُشرف على نطقكِ الكلمات..

لن أتشاجرَ مع المخرج لمنحكِ دورًا أكبر..

لن أُجنّ في الكواليس وأنت تبكين، وأهم بإفساد العرض...

...ولن أرتجف وأنت تمسكين يده وتنظرين في عينيه!

لقد نضجتِ تمامًا، وأصبحتِ قادرة على فعل كل شيء بمفردك: الحب والغضب والذبح وتوجيه اللكمات والصياح وتكسير العظام،

t.me/qurssan

وعليّ الآن ترتيب الفوضى التي خلّفتِها في قلبي: تغطية علبة معجون الأسنان/إزالة شعرك العالق بالفرشاة/تجفيف ملابسك المبللة/تغيير الملاءات/تهدئة روع فناجين القهوة/غسل الجدران/ري نباتات الزينة وإطعام السمك الملوّن، علّك تكتشفين يومًا ما فعلتِ، وتحتاجين سريرًا وسادة نظيفين، كي تُطفئي رأسك عليهما..

وتنامي.

صوت

أقول لها: يجب أن يكون للحبِّ صوتٌ مسموعٌ، صوتٌ قويٌ قادرٌ على تغيير القناعاتِ وإحداثِ المواءمات وتبديلِ النوايا والتأثير في قراراتِ الطرفين وفتحِ أعينهم على ما لا يراه الآخرون عادة، وإلا فهو والعدمُ سواء. صوت الحبِّ الهزيلِ لعنةٌ حقيقيةٌ لا تلبث أن تفتح فاها وتبتلع كلّ التضحيات والمشاعر والخطط المستقبلية والتوقّعات، ولا تُخلّف في النفسِ سوى الحيرة والحسرة على ما أُهدِر دون ثمن!

مواسم الذبح

تذبحني اللحظاتُ التي كان يجب أن أحتضنك فيها ولم أفعل..

التفاصيلُ والمؤامرات الصغيرة والشقاوات التي كان يجب أن أتورّط فيها معك ولم أفعل..

القُبَل والمذاقات التي كان يجب أن أرتشفها من شفتيك ولم أفعل..

الضحكات والدموع التي كان يجب أن أقتسمها معك ولم أفعل..

t.me/qurssan

كلمة أحبك التي كان يجب أن أظل أصرخ بها وأغنيها وأرسمها على كل الحوائط والمرايا والمناديل الورقية وكشاكيل الأولاد وظهور المقاعد في سيارات الأجرة.. ولم أفعل!

لم أفعل!

تذبحني...

الدهشة الأولى

ليت أنّا بقينا في كنفِ البدايات، فلم نبرح الدهشةَ الأولى، ولم نَخط بعيدًا عن السحرِ الباذخِ، ولم نغادر الوَلَعَ الهادرَ، ولم نفارق هدوءَ السريرةِ، وبراحَ العشم، ورحمةَ الثقةِ في امتلاكِ الأبدِ وولاءِ النهايات!

الأمان

أمانٌ مَليء بالفخاخ.. حِضنك!

الديناصور الأزرق!

تجاربنا لا تشبه أحدًا سوانا، وأحزاننا فُصِّلت -منذ الضوء الأول- على مقاسنا، ووحدتنا ديناصورٌ أزرقُ العينين لم يجد أبدًا من يفهمه!

t.me/qurssan

يقاوم...

ولكنّك لن تفهم أبدًا معنى أن يقاوم أحدٌ رُعبَه، هزائمَه السابقة، فقدانَ الإيمان بالبشر، ويفتح لك قلبه باعتبارك انتصاره الوحيد.. ثم تطعنه!

خنجرٌ عفيّ!

انتهينا ومضينا، كلٌ في طريق، فيما بقِيتْ كلماتُنا الأخيرة القاسية مُعلّقةً في سماءِ وَحدَتِنا، تحدّق في ظهورنا المبتعدة، وتلتئم على هيئة خنجرٍ عفيّ، سيظل يطعننا في حبّة قلوبنا.. ما بقي لنا من عمر!

تمَّ الخذلان!

وماذا لو أنّنا مع كل حبيبٍ خَذَلْنا.. فقدنا درجةً لونيةً من أجسادنا، وبهتتْ ملامحُنا قليلًا، حتى إذا ما تمَّ الخذلان.. أصبحنا شفّافين تمامًا واختفينا، فلا يعود ثمة أحدٍ بمقدوره إيذاءنا أكثر من هذا!

بعضُ أنفاسك!

رميتُ بنفسي على زجاج انعزالك، فكسرتُه..

جرحتُ يدي وقلبي وأنا أمرّ.. فلم أبالِ!

t.me/qurssan

ألقيت التاريخ والجغرافيا، وما أنجَزَتْه الحضارةُ في آلاف الأعوام، وراء ظهري، وبدأتُ معك كل شيء من نقطة الصفر: الحب والوله والتعلق والصبابة والوجد والجنون..

ثم رحلتِ فجأة، تاركةً بعض أنفاسك على الأكواب، والفِراش، ومقبض الثلاجة، وريموت التلفاز، وصدري، وابتسامتي.

هذه خطةٌ بارعةٌ جدًا، فحيثما حللتُ الآن يطالبني كلُّ شيءٍ بك، كأنني المسؤول عن رحيلك.

تزداد خسارتي بفقد بقيةِ الأشياءِ بي، ووقوفِها في صفّك ضدّي، أنتِ مُصرّةٌ على وضعي دائمًا في موقف لا أُحسَد عليه؛ إذا حللتِ، وإذا غبتِ!

الذين قال لهم الحب "هِيْتَ لكم"

طالبني بإخراج كل ما في جيوبي؛ صورك، خربشات أصابعك على صدري، فضّة صوتك، لؤلؤ دموعك، الأغنيات التي رقصنا عليها ذات يوم، الأحلام التي منحناها شهادة ميلاد.

تفحّصَ كلَّ شيءٍ بتؤدةٍ، قبل أن يهزّ رأسَه في تفهمٍ، ويكتب روشتته، ويعطيها لي وهو يربّت كتفي.

كان مكتوبًا فيها:

لا بَرء ولا شفاء للذين إذا قال لهم الحب هِيْتَ لكم، همّوا به وهمَّ بهم، ولم يروا برهان ربّهم، فلبثوا في سجنه إلى يوم يُبعثون!

t.me/qurssan

كي لا أبهت أكثر من هذا!

لا يكتفي الليلُ بالوقوفِ خارج حدودِ جسدي..

يتخلّلني..

يُشرق داخلي..

ولا يعود للنهارِ إليّ من سبيل..

ولو أتى على صهوة ألف شمس..

ولا يبقى سوى عينيك..

تعرفان الممرَّ السرّي الذي يُوصل إلى حبّة القلب..

وتحفظان التعاويذَ السحريةَ التي تفكّ اللعنة..

وتملكان جميعَ أوراقِ اللعبِ الفائزة..

وتعلمان يقينًا الرقمَ السرّيَ لفتح خزائن النسيان..

عيناك اللتان لم أعد أعرف طريقهما!

ضمانتي الوحيدة في هذا العالم

كي لا أبهتَ أكثر من هذا

وتنطمس ملامحي

وأصبح ليلًا بالإنابة

لا أكتفي بالوقوف خارج حدود الأجساد

أتخللها

t.me/qurssan

أشرق داخلها

ولا يعود للنهارِ إليها من سبيل..

ولو...

ضلع

استيقظَ صباحًا على ألمٍ خفيفٍ في صدره، اكتشف أن ضلعًا آخر قد نقص.

كلَّما خذلته حبيبتُه، فَقَدَ واحدًا، حتى جاء اليومُ الذي انثنى فيه على نفسِه تمامًا، ولم يعد بإمكانه أن يصلبَ طوله ثانيةً.

في الواقع لم يبذل أي مجهود كي يفعل.

كان يأمل أنَّه كلَّما انكفأ أكثر وتقلَّصتْ كتلتُه والحيّزُ الذي يشغله من الفراغ، أخطأته الأحزانُ الكبيرة، ولم يستدل عليه البشر بسهولة، حتى يقضي فترة عقوبته على الأرض وإن منطويًا، لكن بأقل قدر ممكن من الوجع.

كان يأمل...

الكلام

ثم يبهتُ الكلامُ حتى يصبح أثرًا بعد عين، وتخفتُ الحرارةُ حتى لا يمكن تمييزها بالقلب المجرّد، وترتدي الذكرياتُ بُرقعا يُخفي وجهها، ويُغيّر سحنتها، وترتعش اليد الوحيدة الخائفة مع أضعف هبّة هواء، ويبدوان منهمكين جدًا، ووحيدين للغاية، في خضمِّ معركةِ التظاهر بأن

t.me/qurssan

الروح لم تُفصم، والظهر لم يُكسر، واليقين لم يتفلّت من بين أصابعهما العاجزة كحبّات ماء، قبل أن يتناثر الجميعُ بِددًا في عاصفة المحنة، وبطويهم الزمنُ كطيّ السجلّ، فلا يعود لهم ذكرٌ ولا تفصيل، لا في الهبِ ولا في الأرضِ ولا في السماءِ.

نصف!

عندما فتحتُ عينيَ اليوم، ولم أجدكِ جواري، أدركتُ أن الأشياءَ التي لا تُعوَّض ازدادتْ واحدًا، والأسبابَ التي تدفعني للتمسّك بأي شيء، قلّتْ واحدًا!

كنت مخطئًا عندما تصورتُنا اثنين، يمكن أن يفترقا فيُكمل كلاهما طريقه فردًا، لقد كنّا واحدًا.. وبانفصامنا أصبح كلٌّ منا نصفًا فقط، لم يعد يصلحُ لأي شيء!

دونكِ!

لا حزن ولا فرح، لا خوف ولا أمان، لا موت ولا حياة، لا رغبة ولا زهد، لا طمع ولا قناعة، لا كره ولا حب، لا يأس ولا أمل، لا استسلام ولا معافرة، لا إدراك ولا غياب، لا فوات ولا لحاق، لا جهل ولا معرفة، لا خذلان ولا عشم، لا ألم ولا لذة، لا جوع ولا شبع، لا ضعف ولا قوة، لا شغف ولا انطفاء، لا تورط ولا ترفع، لا غياب ولا حلول.. فقط صوت معدني لنغمة ثابتة، وخط طويل متّصل على شاشة "مونيتور" موصول بقلب، كفٌ عن أن يكون هناك: حياتي دونك.

t.me/qurssan

وبكيتُ..

وإذا جلستُ إلى سواكِ مرغمًا، خرجَ كلامُكِ من فمِها، وأشرقتْ ضحكتُكِ من شفتيها، وفاح عطرُك من ثنايا ثوبها، حتى إذا نهضتْ ومدتْ يدَها للسلامِ، احتضنتُ أطرافَ أصابعِك، وبكيتُ.

الظل

كنتُ ظلا لصورةٍ شدّتْ عينيك وهلة -مثّلت لي كلّ عمري!- قبل أن تتحوّلا عنها..

انعكاسًا لابتسامتكِ في مرآة، أصابتها العُتمة بعد أن أعطيتِها ظهرك..

موجةً نفرتْ من بحرها، لتصلّي بين أصابعك، فتكسرتْ عليها..

حُلمًا مرّ بخيالك في لحظة كرى قبل أن تلفك اليقظة..

لم أكن أبدًا أنا!

رَجلٌ وحيدًا

ماتتْ يدي في موضِعها على مِقبض البابِ الذي أدَارته منذ سنواتٍ سامحةً لك بالمرور خلاله والاختفاء للأبد!

بقيتُ هناك تعضُّ على المقبضِ، وتعتصرُ أصابعها، وترفضُ الاعترافَ بسُلطتي عليها، لأقضي فترة عقوبتي على الأرض.. دونكِ ودونها!

t.me/qurssan

هـذا كثـيرٌ جـدًا عـلى رجـلٍ وحيـدٍ كان يبحـث عـن قَبَـسٍ مـن دِفءٍ، فامتـلأتْ خياشـيمُه بنـارِ الحريـق، ثـم لم يعـد يُجيـدُ القبـضَ عـلى أي شيء!

في الليل أرى

سنلتقي مرة أخرى في الحياة..

لكن ستكونين أكثر هشاشة وأكون أكثر قوة..

ذلـك أننـي لمَّـا خرجـتُ منـكِ، وتأمّلتـكِ مـن بعيـد، أدركـتُ أننـي مـن صَنَـع كل شيء: الشـوق والحكايـات والولـه والأسـاطير والوعـود والأغنيـات والـوان قـوس قـزح، فيـما كنـتِ أنـت ضيـفَ شرفٍ طـوال الوقـت!

بأطـرافِ أطـرافِ قلبـك تتذوّقـين، وبأطـرافِ أطـرافِ مشـاعركِ تفكّـين خـط الحُـب، فيـما انغـرزتُ أنـا فيـكِ بـلا نيـةٍ في النجـاةِ ولا بحـثٍ عـن مـرسى.. فغرقـتُ.

لكنّ مَن غَرِق في بحر الحب طَفا، ومن طفا غَرِق.

كلانـا الآن نـاجٍ -إلى حـين- في خضَـمِ بحـرٍ عِربيـدٍ، لكنـك تتمسـكين بقشّـة، وأتمسّـك بحبـلٍ متـين صنَعَتـهُ لحظـاتي السـعيدة -رغـم كل شيء- معـكِ، ويقينـي أننـي فعلـتُ كل مـا بوسـعي لآخـرِ نغـزةٍ في القلـب، وعندمـا يرتفـع المـوجُ فـلا عاصـمَ مـن فـواتِ الفُـرصِ إلا سـفينة اليقـين.

سفينتي.

t.me/qurssan

عين جروحي

أحـدُق في عـين جروحـي، كلّـما أينعـتْ ثمـرةُ الرضـا داخـلي، وألمـسُ مناطقهـا الأكـثر ألمًـا والتهابًـا، وأغـرس فيهـا دبوسًـا جديـدًا، لأتذكّـر لمـاذا لملمـتُ قلبـي ذات يـوم، كسـجادة دهسـتها الأقـدام، وفـررتُ بمـا تبقـى منه، ووضعـتُ حفنـة مـن (البُنّ) عـلى صراخـي، كي لا أُقلـق أنانيـة الآخريـن، أو أزعـج نـوم ضمائرهـم، ومـا الـذي كان ليحـدث، لـو أننـي لم أرفـع الغمامـة عـن عينـي ذات ذِبـحٍ، وأصررتُ عـلى إكـمالِ طريـقٍ لم يُخلَـق لقدمـي، وحيـاةٍ ليـس فيهـا مـكانٌ لمغفّـلٍ جديـد!

أحدُق...

أبَدًا!

لا تنتهي علاقتي بك أبدًا، حتى عندما تنتهي!

دائمًـا هنـاك نافـذة، بـاب خلفـي، فُرجـة ضيقـة في مـكان مـا، لا تتسـع حتّـى لحلـم، تُطلّـين منهـا في صخـب، وتنبتـين في دمـي مـن جديـد!

تمامًـا في الوقـت الـذي أكـون قـد أوشـكتُ فيـه عـلى التعـافي منـك، ولـو بإيقـاف أجهـزتي الحيويـة، وقطـعِ شرايـين مشـاعري!

فتُغريـن القلـب -ذلـك السـاذج!- بالاسـتمرار في الخفقـان، والنَفَـس -ذلـك المنقطـع!- بالدخـول والخـروج، كأنـك حقيقيـة، كأنـك ممكنـة، فيـما تتركـين الـروحَ -دائمًـا الـروح!- معلّقـة بـين الأرض والملكـوت!

t.me/qurssan

فتنير...

ما فارقتُكم يوم فارقتُكم، إنما فارقتُ صورًا تفنَى، وأجسامًا تبلَى، ومساحاتٍ رمادية، وفتحتُ القلب -على مصراعيه- لسُكنى أرواحٍ يمسحُ البُعد رؤوسَها فتنير، ويقبِّل الغيبُ يدَها فتُشرق، حتى كأنَّ الأحبة جميعًا مُتحلِّقون في الآن، مُقعون في الأبد، واصلون متّصلون خالدون بلا حلٍّ ولا غروبٍ ولا نهاية.

ما فارقتُكم.

في غيابك

الأشياء.. التي اعتدتُ فعلَها معك، تأبى أن تنصاع لي في غيابك، ينطفئ نورُها، تتجهّم، تفقد طعمها فورًا بمجرد أن تلامس طرف لساني، وربما تتحدّث معي بخشونة، وتخرج لي لسانها!

وجودك.. يجعلها طيّبة، وقريبة، تفتح لي قلبها فور رؤيتي، وتمنحني ما أشاء، دون سؤال.. الأشياء -مثلي- تحبّك.

t.me/qurssan

سلامًا

سلامًا للأشياء التي تنتهي حين تنتهي، العابرين دون صخبٍ ولا بصماتِ أصابع على القلب، التاركين مساحاتٍ لالتقاط الأنفاس، المتحقّقين بالغياب، الواصلين بالانقطاع، الباقين هناك، في مكان نجهله ويجهلونه، وقد لا يمكننا الوصول إليه أبدًا.. لكنه يبقى.. ويبقون.. رهن إيماءة.

سلامًا للأشياء التي لن تتكرّر ثانية/الحالات التي لن نتورّط فيها أبدًا/الأشخاص الذين لن نراهم مرة أخرى/الأماكن التي لن نطأها يومًا/القُبلات التي لن تُطمئِن شفاهنا بالمحبّة مجددًا/لمسة اليد التي أصبحت ذكرى/نظرة العين التي طمسها الغياب/أُنس الروح الذي بات حلمًا لا يطال.

سلامًا علينا عندما كنا -حقًّا- على قيد الحياة!

سلامًا لمن طَرَقَ البابَ، فوجدَه مغلقًا، فعذرَ وأمهلَ وصبرَ ورابَطَ وأبَى الانصرافَ، ومكثَ غيرَ بعيدٍ، يتحيّن فرصة، ويترصّد ثغرة، حتّى رأى نصفَ انفراجةٍ، فانتهزها، وجازَ وعبرَ واخترقَ ومرّ إلى قلوبنا، فأنار ومنح وطبطب وأحيا وأعان وعوّض واحتوى.

t.me/qurssan

سلامًا لنَغزةٍ في القلب، تُنبئنا أننا ما زلنا أحياء، إذا ذَكَرْنَا الحبيبَ بهنة، أو شممنا رائحته في ثيابنا، أو تردد على مسامعنا لحنٌ يُحبّه، أو سمعنا كلمة لم تكن تفارق شفتيه.

سلاما للذين تصوّروا أن بإمكانهم تغيير العالم/الأشخاص/الحالات فأخذوا نَفَسا بحجم التخلّي، واستخلصوا ذواتهم من كل شاغل وباطل، وفرّغوا إنسانيتهم من كل حادث وقديم، ثم جدّوا في الطريق، واستقاموا على الطريقة، ومنحوا من ذوات أنفسهم ما منحوا، دون انتظار المثل، وتوقّع العطيّة، ومدّوا أياديهم -بيضاء من غير سوء- بالسلام والطمأنينة والمحبة والطبطبة والتعلّق، ثم فتحوا أعينهم، ذات مواجهة، على قبح أعمق من أن يفهموه، وخذلان أكبر من أن تحتمله قلوبهم، وضياع أفجع من أن يدفعوا ثمنه وحدهم، وتراب عاصف يصفّر ويدوّي، يجتاح مدنهم ويهدم بيوتهم ويقوّض إيمانهم ويدفنهم أحياء مذهولين عطشى وجوعى ومنبوذين!

سلامًا على الذين إذا مرّوا على قلوبنا، مرّوا خفافًا، فلم يجرحوا، ولم يطعنوا، ولم يتركوا آثار أقدامهم عالقة، ولم يورثونا حسرة أو ندامة.

سلامًا على الذين إذا لُذنا بهم، آوونا، ولم يسألونا أي شيء، أو يعاتبونا، واكتفوا بطبطبة وحضن وقُبلة!

سلامًا..

t.me/qurssan

بقيتُ!

وكنتُ كلّما أطلتُ التحديقَ في عينيكِ -بحثًا عني!- أغلقتِهما، حتى فعلتِها مرةً ولم تفتحيهما ثانية، فبقيتُ هناك للأبد!

الدائرة

يموتون، ويعبرون الخطَّ الفاصلَ بين الممكن والمستحيل، يتركوننا خلفهم، نُحدّق في آثار أقدامهم، نتذكّر نكاتهم وقفشاتهم، ملمَسهم، رائحتهم، جنونهم، حنانهم، غباءهم وغباءنا!

نضحك حينًا، ونبكي أحيانًا، نتمنّى اللحاقَ بهم في مرة، وفي مرّة نتمنّى عودتهم إلينا، لنشرب الشاي على المقهى معًا، ونقتسم السيجارة، وآخر عشرة جنيهات في جيوبنا، نأكل في طبق واحد ونخطف الطعام من بعضنا، نجلس متجاورين في ظلام السينمات، نتشاكس، نغنّي بصوت قبيح، نجوب الشوارع وقت هطول المطر ونحن نلتهم الآيس كريم، ثم لا يتحرّك أحدُنا من مكانه، لا يأتون ولا نرحل، لا يسمعون ولا نكفّ عن النداء، ويبقى الوضع على ما هو عليه، وعلى المتضرّر اللجوء لعالم الأحلام، علّه يحنّ عليه، ويبرّد قلبه، ويأتي له بمن فارقه ولو لحظاتٍ، تُعينه على إكمال الطريق، حتى الحلم التالي..

t.me/qurssan

صدّ ردّ

سمعتُ أنه عند الموت

تمرُّ أمامنا مشاهدُ حياتنا بسرعة الضوء

كلُّ لحظةٍ ونَفَسٍ ودمعة وابتسامة

كلُّ فشل ونجاح وأمل وحلم وندم

لا نعيش وجودنا كله في غمضة عين فحسب

بل نختبر أيضًا -بدقة بالغة-

الأثر الذي تركناه في أحبابنا

أو هذا ما سمعت

ألا يعدّ هذا هو التطبيق الأكثر ترويعًا لمبدأ العين بالعين؟

لأنك، يا حبيبي، لو اختبرتَ مقدار ذرةٍ مما سببته

لي من ألم.. فليرحمك الله!

سيندي شيري – ترجمة ضي رحمي

t.me/tarssan

t.me/qurssan

ثِقةُ الغافلين!

قابلتُها بعد عددٍ لا يُحصَى من سنواتِ الفراق، في أحدِ المولات الشهيرة، هرولتُ خلفها بعد أن تجاوزَتني عامدةً، رغم عينيها اللتين رشقتا في عيني!

- افتقدتُكِ.

* لكنكَ الذي أضعتَني ذات يومٍ!

ـ كنتُ مجنونًا يوم تركتُ الزمنَ يضع بين قلبينا الحواجزَ والعقبات!

* كنتَ تبدو قويًا وواثقًا من نفسِكَ وأنت تطلب الفراقَ!

ـ هذه قوّةُ الجهلِ وثقةُ الغافلين!

* ماذا تريد؟

ـ أريد أن أعرفَ أي أحمقٍ كنتُهُ!

* وبماذا يُفيدك هذا؟ جفّت الأقلام وطُويت الصحف.

t.me/qurssan

ـ لم أجد لحظة راحة واحدة بعدك!

* لم أكن أنا التي لوّثتُ لحظاتك بالشقاء، بل كنتُ من يسعى بإصرارٍ لإنقاذِك من شيء كهذا!

ـ لم تكن ظروفي تسمح!

* كنتُ على علمٍ بكل ظروفك، ومستعدّة لتحمّلها لآخر الشوط، لكنكَ الذي لم تكن على استعداد لتحمّلي!

ـ أحسستُ في لحظةٍ أني سوف أظلمكِ لو ارتبطتُ بكِ.

* أو لم تظلمني عندما هربتَ من تحمّل مسؤولية علاقتنا؟

ـ كنتُ أخشى تغيّر ما بيننا وخروجك من قلبي لتجلسي على ظهري!

* وبعد كل هذه السنين.. هل اختفى حبّي من قلبِك؟

ـ بل زاد وطغى واستطال!

* راهنتَ إذًا على الحصان الخاسر، وأضعتَ العمر من أجل افتراضاتٍ وخيالات!

ـ كيف حالكِ من بَعدِي؟

* أحسنُ من حالِكَ بَعدي.. فإحساس الضحية أهون دائمًا من إحساس الجلّاد!

ـ ما زالتْ كلماتُك مؤلمة!

* الكلمات تصنعها المواقف.

t.me/qurssan

ـ كنتِ تقولين إنني لن أرتاح من بعدِك، لأني لا أعرف ماذا أريد ولن أعرف أبدًا! وتحققتْ نبوءتُك تمامًا! من أين أوتيتِ مثل هذه البصيرة؟

• لأني أحببتُكَ، فنفذتُ إلى روحِكَ ذاتها، ورأيتُ قدرَك الإغريقي الذي اخترتَه بنفسك ولنفسك، دون أي داعٍ في الحقيقة!

ـ هل أنتِ سعيدة؟

• السعادة دائمًا نسبية!

ـ هل تذكرينني أحيانًا؟

• إذا كان الواقع لم يَشفِ جراحَنا، فهل تقوى الذكرى على ذلك؟

ـ ما زلتِ غاضبةً مني؟

• بل مشفقةٌ عليك، وعلى المصير الذي سعيتَ إليه بإصرار حتى بلغته!

ـ هل من أملٍ لقصتِنا أن تكتملَ ذات يوم؟

• اسأل زوجي وولدي وسنين عمري التي تمضي في اتجاهٍ واحدٍ لا يتغيّر!

ـ لكني لم ولن أنساكِ أبدًا، بعدك احتجب عني قلبي، ورفض الدقُّ لسواكِ، رفض أن يستقبل أيًا من بنات حواء، ظل مخلصًا لضياعه الأبدي، ومطيعًا لصوتِ عذابه، وساكنًا في جحيمه الخاص جدًا!

• هي أقدارُنا على أي حالٍ وعلينا الصبر عليها.

ـ بماذا شعرتِ عندما رأيتِني اليوم؟

t.me/qurssan

* كنت أريد أن أضحك!

ـ تضحكين؟!

* تذكّرتُ وجهكَ وأنت تصارحني بحبّك، وتقسم لي أنه حبٌ كاثوليكيٌ لا طلاق فيه ولا فراق ولا خوف من أنياب الزمن، فضحكتُ على ما وصلنا إليه اليوم!

ـ ولكني عندما رأيتُك كنتُ أريدُ أن أبكي!

* لماذا؟

ـ لأن ما فاتني كثيرٌ بالفعل، كثيرٌ لدرجة لا تُصدَّق، والمشكلة أنه غير قابل للتعويض أبدًا!

* ولكنك حقّقتَ ما كنت تصبو إليه؛ العلاقات الاجتماعية والشهرة والمال والمركز.

ـ وماذا يفيد الإنسان لو كسب العالم كله وخسر نفسه؟

* لماذا لا نُصبح حكماء إلا بعد أن تضيع منا الفرصُ الحقيقية -وربما الوحيدة- في الحياة؟

ـ لأننا بشرٌ والبشرُ خطّاؤون.

* بل لأنّنا مغرورون للدرجة التي نُبيح فيها لأنفسنا المصادرة على المستقبل والاستخفاف بالحب ورؤية المال والشهرة في مكان أعلى منه دائمًا!

ـ هل لي بنمرة تليفونك؟

* ليس من حقك، لقد انتهتْ قصتنا معًا، هل تذكر؟

t.me/qurssan

ـ أرجوكِ.

* يـا طالمـا رجوتـك في المـاضي وكنـتَ تسـتطيع تلبيـة طلبـي، لكنـك لم تفعـل، فهـل ألبّـي طلبـك الآن وأنـا لا أسـتطيع؟

ـ ولكن...

* أرجـوك، يكفـي مـا فتحتَـه مـن جـراحٍ في أعماقـي، وأعتقـد أنّـه آن لهـذه المحادثـة أن تنتهـي.

ـ هل سأراكِ ثانية؟

* لا أعتقد.

ـ لماذا تُصرّين على حرماني من أي أمل؟

* أنـتَ مـن حرمـتَ نفسَـك وحرمتَنـي مـن ذلـك، وبمنتهـى الإصرار، وداعًـا.

ـ أرجوك.. أنا.. أعني.. فقط انتظري حتى.. أو..

t.me/qurssan

t.me/qurssan

نار اللّٰه المُوقدة

همزتْ في حضني، وقالتْ بنبرة انتصارٍ لم تستطع إخفاءَها:

- اليوم آخر ليالينا معًا، لقد تحرّرتُ منك للأبد.

ابتسمتُ، هذه عبارتها المفضّلة منذ سنين، تقولها نهارًا بابتسامة، لم تأتيني ليلًا بدمعة، وترجوني أن أفتح الباب.

أخذتُها على غِرّة، وزرعتُ جسدها نارًا مُوقدة، ولمّا أزل أحرث وديانها، وأتسلّق هضابها، وأغوص في مغاراتها، حتى ثقلتْ أنفاسُنا ولهْنا الوهج.

انتظرتها على رأس الوقت في اليوم التالي، فلم يَبد منها عطرٌ ولا أنفاسٌ! داعبتُ أرقامها بكسل، فسمعتُ صوتها مختلفًا:

- أخبرتُكَ أنني انتهيتُ منك.

كيف؟

- هذا سرّي.

t.me/qurssan

- فكيف أنتهي منك؟
- لم تبدأ يومًا كي تنتهي.
- أريدكِ.
- تريد نفسَك.
- أنتِ نفسي.
- اكتفيتُ من الشِعر ومن الجنون.
- أحبكِ.
- لم تحب يومًا نفسك، فكيف تحبّني؟
- أشتهيكِ.
- هذا أصدق ما قلتَه منذ عرفتك!
- والآن؟!
- ابحث عني حتى تجد نفسك.

إظلام.

t.me/qurssan

لماذا يقتربون؟!

اتصلتْ بي وقالتْ وهي تبكي:

كل شيء انتهى!

صمتُّ لوهلة، أحسستُ أن أي كلمة الآن لن تعني شيئًا.

عادتْ لتقول:

- كان حدسي في محله!

اندفعتُ في الكلام:

هـذا ليـس عـدلًا، هـل أصبحـتْ قاعـدة ألا تكتمـل قصـصُ الحـب في هـذا الزمـان!

همستْ:

- كان كل شيء يبدو حقيقيًا للغاية!

t.me/qurssan

هتفتُ:

- ثم ماذا! لماذا لم يستمر حقيقيًا للنهاية؟!

تنهدتْ:

- أخبَرني أنه يراني كاملة، ويخشى ألا يكون لائقًا بي، كما أنه مشغول طول الوقت، ومن كانتْ مثلي، وفق قوله، تستحق اهتمامًا أكبر!

قلتُ في استهزاء:

- اكتشفَ هذا فجأة بعد عامٍ كاملٍ من الخروج واللقاءات ونزف المشاعر والأحلام العريضة!

همهمتْ:

- إنه مراهقٌ، لن يكبر أبدًا، يريد أن يخرج ويلعب ويحب، دون أن يتحمل مسؤولية شيء، وكلما لاحتْ له فتاة جميلة، يتصوّر نفسه معها، ويقول في شقاوة: لم لا؟ ولا يُكذِّب خبرًا ويسعى لإيقاعها في حبائله، وعندما يكتفي، يتحجُّج ويُبرر ويقول: لستُ لائقا لكِ! والمصيبة أنه يتصوَّر أننا نصدقه!

تساءلتُ:

- لماذا قَبلتِ المغامرة ما دمتِ تعرفين هذا منذ البداية؟!

تنهدتْ:

- لأنني حمقاء. تصوّرتُ أنه يفعل هذا لأنه لم يعثر بعد على الحب الحقيقي، وعندما يفعل، سيتشبث به، تخيّلتُ أني مختلفة، وبمجرد أن يتذوَّق طريقتي في الحياة، سيعرف أنه لم يعش قبلي، لكنه كان أغبى

t.me/qurssan

.. أن يفهم أن تجربته الحقيقية تفلّتت لتوّها من بين يديه، ولن ... العثور عليها ثانية أبدًا!

همستُ:

وماذا الآن؟

صمتتْ، ثم ابتلعتْ ريقها بصعوبة وتنهدتْ:

لا شيء! الكثير من البكاء والندم والأكل والشك والصراخ والهستيريا .. رق الصور والابتعاد والتوحّد، حتى أملّ، وأجد في نفسي القدرة .. لى الوقوف من جديد.

قلتُ بيقين:

سيندم. أنا واثق.

قالتْ بسخرية:

وماذا سأستفيد حينها؟! الطعنة نَفَذت وانتهى الأمر. سيعيش من .. عدي ويضحك ويحبُّ ويتزوج، ويومًا بعد يوم سينسى أنه التقاني في .. ريقه!

هدأتْ قليلًا، وأطلقتْ زفرة حارة، ثم اندفعتْ فجأة في انتفاضة أخيرة:

لماذا يقتربون، ما داموا غير واثقين من قدرتهم على إكمال الطريق بصحبتنا؟ ولماذا يستهينون بالجراح لهذه الدرجة، ويعتقدون أن الدائرة لن تدور عليهم، ويتذوقوا الكأس نفسها؟ من أين يأتون بكل هذا اليقين أنهم بعد ظُلمهم سيُنصَرون؟!

t.me/qurssan

غمغمتُ بكلام لم أسمعه أنا نفسي، ثم همستُ لها:

- لكل شيء حكمة، ووراء كل قَدر رسالة، بالتأكيد سنعرف هذا يومًا ما. وساعتها سنكون قد سدّدنا ديننا كاملًا للحياة ولم يبق سوى أن نتفرّج عليهم وهم يحترقون.

- لقد كفرتُ بالحياة، ولم تعد لدي ثقة إلا في الموت!

- طبيعي أن يكون هذا إحساسك عقب كل خذلان تتعرضين له. لكن مع ذلك تذكري كم التجارب القاصمة التي تعرّضنا لها، وظننا ساعتها أنها لن تمرّ، ومرّت، أننا لن نفرد ظهورنا ثانية، وفردنا، أننا سنعتكف ونفارق العالم، ولم نعتكف، كم من علاقة انتهت فتصورناها نهاية الحياة، ثم أكملنا الطريق وإن مثخنين بالجراح، نحن فقط ننسى من شدة الألم، لكن غريزة الحياة داخلنا أكبر من الموت، وإرادة الله فوق الجميع.

- قل لي سببًا واحدًا يجعل أيَّ إنسانٍ أيًا كانت ديانته، أو حتى بلا دين يتمسّك بالحياة مهما كانت ظروفه في غاية السوء!

- مشكلتي مع الانتحار أنه قرار نهائي لمشكلة قد تكون مؤقّتة. وأي شيء في الدنيا مؤقّت: الفرح والحزن والانتصار والهزيمة، حتى الحياة نفسها مؤقتة، ثم إنني غير مقتنع أننا جئنا الحياة كي نأخذ قلمين على وجوهنا، فنقرر أن كفى، ونخرج "من المولد بلا حمّص". دون أن أنشب أظفاري في وجه من ظلمني، وآخذ حقي، وأحقّق كل أحلامي رغمًا عنهم جميعًا.

الحياة صعبة؟ جدًا!

قاسية؟ جدًا جدًا!

t.me/qurssan

محبطة؟ جدًا جدًا جدًا!!

ا امسي لست ورقة شجر كسيرة في مهب الريح، أنا سلطان قانون • • ودي، وسأحقق كل ما أريد قبل أن أمضي.

أنا تعبة للغاية!

لا تقاومي الألم، استسلمي له، دعيه ينقّي قلبك ويصلب عودك ورُه، د تشكيلك، حتى يذهب إلى حال سبيله، بعد أن يخلقك بشرًا وًا من جديد، ويفتح عينيك على دنيا جديدة تستحقينها، ويجعلكِ ،، ن ما غفلتِ عنه قديمًا.

أنا ضعيفة، غير قادرة على التحمل!

كل هذا سوف يمرّ، وسوف أذكّرك، فمَن ظلمك إنسانٌ، لكنّ مَنْ ءاهكِ رَبٌّ، ولا يغلب ظُلم إنسانٍ رحمةَ رب.

يا رب.

يا رب.

t.me/qurssan

t.me/qurssan

بيني وبين نفسي

"في طفولتي، حذَّرتني أمّي من ابتلاع بذور الفاكهة، كانت تقول ضاحكة: سوف تنبت داخلك شجرة.

لم تقل إن الوحدة -التي أبتلعها كل ليلة- هي نصيبي من الأشجار!"

ضي رحمي

t.me/qurssan

t.me/qurssan

ينتهي العالم

ينتهي العالم حين ننتهي منه، حتى وإن أكمل حياته بعدنا بشكل طبيعي، وأنشب مخالبه في مزيد من الضحايا.

وأنا انتهيت من العالم.

رأيتُ ما رأيتُ وتذوّقتُ ما تذوّقتُ ومددتُ يدي ولمستُ ونِلتُ وقاربتُ، حتى أصبح كل شيء في ناظريّ لا يساوي جناح بعوضة.

أنظر خلفي فأرى جثث الذكريات تتراكم على جانبي الممرِّ الضيّقِ الذي اجتزتُه لتوي، منذ كنتُ نطفةً تافهةً حتى صرتُ ترسًا أكثر تفاهة في آلة جهنمية تعمل وفق برنامج مجهول لتنفيذ غاية مجهولة، وأنظر أمامي فأرى المزيد من الحفر والدمامل والمفازات التي عليّ اجتيازها، دون أن يقنعني أحد لماذا ينبغي لي فعل هذا، أو يبدو على المدى أي جائزة تُبرِّر العناء!

t.me/qurssan

أحملُ وعيي المرهف بالأشياء كإناءِ عسلٍ مثقوبٍ فوق رأسي، يسيل منه السائل السحري طوال الوقت، فينقضّ عليه النحل من كل صوب، وينهال عليّ وخزًا وطعنًا، حتى يزداد الطريق وعورة وعماءً، فيما تواصلُ أفكاري تلوُّيها وحُمقَها، فتزيد الهوة بيننا اتساعًا حتى يبدو كأن لكلٍ منّا حياة مستقلة تمامًا عن الآخر!

أرتاح للمرض، ويرتاح لي، فأضع رأسي المحموم على صدره وأغفو، إنها فرصة لا بأس بها لوصل الليل بالنهار واجتياز الساعات ثقيلة الوطأة دون فعل أي شيء على الإطلاق بحجة تبدو منطقية!

يتوقّع منا العالم ألا نكفّ عن فعل الأشياء العظيمة كل يوم، حتى وهو يدرك مدى تفاهته وعجزه ومحدوديته وعدم أهليته، إنه لا يرانا سوى تروس غير مسموح لها بالتوقف إلا حال انتهاء صلاحيتها، فيستبدل بها غيرها، لا يلمس دقات قلوبنا ولا يرى أحزاننا، لا يفهم انكسارنا ولا يعترف بوحدتنا وانزوائنا، ولا يخطر بباله ذبول زهورنا ونفوق طيورنا وانتحار أسماكنا، لا يعرف كيف تمرّ علينا الساعات والدقائق ونحن لا نفهم أي شيء مما يجري حولنا، ولا يهمه أن يعرف!

إنه لا يرانا، ويكاد لا يعترف ببنوّتنا كأبناء الزنا، فلماذا نفتح نحن أعيننا بهذا الاتساع وبكل هذا الاهتمام المثير للشفقة كي لا تفوتنا تفصيلة من تفاصيله؟!

ما الذي يؤلم بقدر الذكريات والتفاصيل، بقدر لحظات الليل الأخيرة وهي تمضي كمدرّعة على قلبك الوحيد في مهب الخذلان، بقدر الساعات الثقيلة التي تنتظر رأسك لتفرمه بالمهام الروتينية دون بارقة مودّة، بقدر كل ما كان يمكن أن يحدث ولم يحدث، وما كان يمكن أن تكونه ولم تكنه؟!

t.me/qurssan

قلبي كرأسِ تمثالٍ مطمور تحت التراب لآلاف السنين، وحبُك بعثةٌ عمقاء اكتشفته بمحض مصادفة، وبينما تُخرجه من أمنِه، كسرتْ أنفَه وفقأت عينيه، ثم فرّت، فلم يعد بالإمكان التعرف عليه. عاش مدفونا وخرج إلى النور مُشوها وسيقضي ما بقي له من حُزن لا يعرفه أحدٌ!

والآن.. لا الموتُ يأتي فيكنس تاريخي المُلطخ بالدهشة الواقف على شفا حُفرة من اللايقين، ولا أنا أذهب إلى غاباته السحرية المُسيْجة بـ"الحُرمانية" وامتداد شريط العمر حتى يسفُّ. لا الطير تأكل عقلي فأجذب، ولا الوقت يجرجرني -كقطار تعلّقتْ به ثيابُ تَعِسٍ- لمحطة وصول فاسكن.

أنا آخرُ الفتن والمغارات والغوايات، آخر قطرة تساقطت من ثلج العصر الجليدي وهو يذوب حاملا دم الديناصورات في رقبته، آخر تراب كوني متخلّف عن احتراق النجوم وهي تجدُّ السعي بين أطراف المجرّة، آخر قُبلة تبادلتها شفاه حبيبين فَصَل بينهما سورٌ شائكٌ ظلّ يرتفع حتى خرم السماء الأولى، آخر دورة في حياة "عنقاء" أسطورية لن تعقبها قيامة، آخر نَفَس في أسطوانة أكسجين على ظهر سباح مزقته أسماك البيرانا، آخرُ آخرٍ في كل شيء.

ينتهي العالم حين ننتهي منه، حتى وإن أكمل حياته بعدنا بشكل طبيعي، وأنشب مخالبه في مزيدٍ من الضحايا.

وأنا انتهيتُ من العالم.

t.me/qurssan

t.me/qurssan

ما تتلوه الشياطين

استيقظتُ اليوم وأنا أكره العالم.

ما الجديد؟

أنني أصبحت أكره نفسي أيضًا، لأنني أصبحتُ مثله تقريبًا، أتواطأ وأنجرف وأواري، كتجلٍ حرٍ لثمرة الخطيئة الإنسانية الأولى التي يبدو أن نزولنا إلى الأرض لم يُنهها، إنما بدأها، وأمدَّها بحطب جديد، لتبقى مشتعلةً إلى يوم يُبعثون.

علاقتي بي تزداد توحشًا وتطرفًا وجنونًا يومًا بعد يوم، ساعة بعد ساعة، دقيقة بعد دقيقة، ثانية بعد ثانية..

أشاهدني من منظور عين الطائر، فأفزع مما صرتُ إليه، وأكاد أصرخ أنا لستُ هو.. وهو ليس أنا، وكلانا ليس ما يبدو عليه!

t.me/qurssan

تلتبسُ الأمورُ أحيانًا حدَّ التماهي، وتتداخل الصور حتى لا تعود الحقيقة حقيقة خالصة ولا الكذب كذبًا ناصع الخداع، والكثير.. الكثير جدًا من المناطق الرمادية يتكوَّن على الحافة ويتناسل ويتعملق ويبدو جادًا للغاية وقادرًا على المضي قُدمًا في هذه اللعبة -بلا حياء- للأبد.

التاريخ مُزيَّفٌ ومُضلِّلٌ، يكتبه المَخصيُّون المنتصرون وغوانيهم ومهرِّجو قصورهم، ولكي نكتبَ تاريخًا جديدًا، لا بدَّ أن نكون أكثر قدرة على التزييف منهم.

والحقيقةُ.. لاعبةُ سِرْك تُجيد وضع المساحيق فتتجلَّى بألف شكل، وتختفي في باطن ألف صورة، دون أن يستطيع أحد تمييز وجهها الأصلي.

والحبُ عِفريتٌ، يتحدَّث عنه الجميع طوال الوقت، ويُعدِّدون مآثره وتجلِّياته، ويهيمون في مراعيه وفلواته، دون أن يراه أحدٌ يقينًا ولو مرة واحدة، ويضع يدَه في يدِه على سبيل التحقق، أو يجاهر بالمعصية الكبرى ويعترف أنه مجرد حيلة خبيثة من الطبيعة لاستمرار النسل والمحافظة على النوع!

إننا نعيش -من المهد إلى اللحد- على تل من الأكاذيب والادعاءات والخرافات، أكبرها على الإطلاق: نحن.

نحن أكبر كذبة في الوجود.

فكيف تورَّطنا في محنة الحياة؟!

أيُّ شيطان رجيم كان يلعب برؤوسنا، ويتلو تعاويذه، عندما خُيِّرنا بين المجيء وأن نكون عدمًا، فاخترنا المحنة والتجسُّد على ذؤابة سيفٍ مجنونٍ لا يكفُّ لحظة عن "المخمضة" والاشتباك والذبح والولوغ في الدم الطاهر والفاجر على حد سواء. ما الذي كان يدور بعقولنا حقًا؟!

t.me/qurssan

وهل وجدنا ما وَعدنا شيطاننا حقًا؟!

لكننا لا نعترف بالفشل، لا نطأطئ الرأس للخسارة، ونرفض الإقرار بحامل التورّط، نناطح ونكابر ونتأوّل ونتطاول برؤوسنا وأدمغتنا وألسنتنا لنُضيف حلقة مفرغة جديدة إلى سلسلة الكذب الجهنمية، ونتجرف في تعديد ميزات وجودنا، ونقول إن هذا الموقف يشير إلى كذا، وهذا اختبار لكذا، وهذا ابتلاء من أجل كذا وكذا...

الأمر أشبه بالقصائد الجاهلية التي كنا ندرسها ونحن طلاب، إذ نهال عليها بخناجر النقد والتحليل والتعليل فنكذبُ على شاعرها ونقول إنه قصد كذا وأراد كذا، وهذه استعارة، وهذا تشبيه، وقصيدته على بحر كذا خصيصًا لأن كذا وكذا، فيما الرجل لم يكن في ذهنه أيٌّ من هذا الهراء، لقد انفعل فعبّر، وفقط، وربما لم ينفعل أصلًا وإنما صنع حالة، وخلق مجالًا، لكننا الذين نريد أن نقول إننا أذكى من الآخرين، وندرك ما يرمون إليه ربما أكثر منهم!

وهكذا، بالطريقة نفسها، نُبرر محنة الحياة.

ما نتكبده للخروج من العلاقات الماصة لأرواحنا/الثمن الذي ندفعه/النزيف بأعماقنا/الشك في جدوى كل شيء/الإنكار والتبرير والوَهن ثم الاستسلام لفرط القهر في النهاية/ثقل البدء من جديد، أو اللا بدء، اللايقين، اللا معنى، يُثبت أن الأمر لم يكن ليستحق منذ البداية. أيًا كانت الخدعة التي انطلتْ علينا وقتها أو الحلم الذي مددنا أيدينا لقطف ثماره أو الجنون الذي تخيّلنا قدرتنا على دفع تكلفته وجَعَلَنا نتصور أننا مختلفون، أننا لسنا الآخرين الذين نقرأ قصصهم الحزينة كل يوم.

t.me/qurssan

فالشوق الجارف يخمد، والحب العارم يُستَأنس، والجمال الطلق يُقيَّد، والروح الأبية تستكين!

لا أَبَدَ في الأشياء إلا في مُخيِّلاتنا، لا ديمومةَ إلا في الكتب، لا مُطلق إلا في عقول الفلاسفة، فيما نحن والذين سبقوا والذين سيأتون من بعدنا: ترابٌ يسير على تراب، وإن التأم في قصور باهرة وجواهر تخطف الألباب وقطارات تسير أسرع من الصوت وأقمار تخترق أجواز الفضاء، تراب في تراب.

نحن، بمنتهى التجرُّد والحيادية، السبب في كل ما يحدث لنا!

فيما الواقع أن ليس للإنسان إلا أن يلزمَ الصمت التام، ينظر إلى حيث يقف ويزرع وتد خيمته ويعتقل الشهوات ويئد الخيارات وينظر للمستقبل كما ينظر إلى الماضي والحاضر: مجرّد صور باهتة تُعرض على شاشة لا تخصُّه، ربما ننفعل بها قليلًا، بحكم جهازنا العصبي المُعدّ سلفًا للاستثارة لأتفه سبب، ربما نتوق لنكون أحد مكوِّناتها بفعل رغبتنا الفطرية في التورُّط، لكن في قرارة أنفسنا لا بدَّ أن نظل على يقين أنها ليست أكثر من صور.

الخذلان/الفقد/التخلي/الخيانة.. بهذا المعنى يأخذون بُعدًا جديدًا، إنها مجرد خدوش في الصورة، ظلال جديدة، لعلَّ الصورة تكون أجمل دونها، لكن بها تصبح حقيقية أكثر، وتليق أكثر بالعرض على شاشة الإنسانية البدائية التي بدأت تاريخها بالقتل، ولا شكَّ أنها ستنهيه بما هو أبشع.

والحدود الفاصلة للغاية بين الأشياء: الشقاء/السعادة الفشل/النجاح الكراهية/الحب.. خدعة أخرى، ومحاولة طفولية لإضفاء بعض

t.me/qurssan

الحقيقية" على الحدوتة، فيما أنها ديكورات وألاعيب مصطنعة لجعل كل شيء "يبدو" طبيعيًا وصادقًا كي لا نشك!

والجائزة التي تُحرك الجميع، وتدفعهم للجري والتطاحن والصراع: حيازة الأشياء.

الحبيبة الأجمل والوظيفة الأعلى راتبًا والبيت الأوسع والطفل الأذكى والسيارة الأفخم و...و...

إنها تقنية البغل والجزرة الشهيرة: يُعلّقون عصا قصيرة نسبيًا فوق رأس البغل، ويدلون منها خيطًا ينتهي بجزرة، فإذا أراد بلوغها، تحرك للأمام، فتتحرك معه الرحايا، وهكذا، لا البغل يبلغ الجزرة فيشبع، ولا هو يدرك الفخ فيتوقف، فيما تستمر الرحايا في طحن كل ما يقع في جوفها دون تمييز!

لكننا، في لحظة ما، نكتشف: الحيازة وهمٌ صنعه خوفنا من الفَقد، من التعرّي، من الفردانية المطلقة الجارحة، رغبتُنا في تحدّي الموت والتعالي على الانطفاء، إدراكُنا أصالةَ وحدتنا وسبقها لكينونتنا ذاتها.

فيما أننا في الحقيقة لا نملك شيئًا في هذا العالم، لا الأحبة ولا الزوجات ولا الأبناء، لا المال ولا الوظائف ولا العقارات، بل ولا حتى أنفسنا؛ فنحن نعيش تحت رحمة ميقات مُحدد، ورهن قدرة خلايانا على مقاومة عوامل الطبيعة، والظروف الخارجة تمامًا على إرادتنا. إننا -حرفيًا- نستأجر أجسامنا وأرواحنا للعبور للضفة الأخرى التي نجهل عنها كل شيء فعليًا، قبل أن تؤول التركة بأكملها لمالكها الأصلي في النهاية.

متى نتأكد من ذلك؟

t.me/qurssan

لعلّه يكون في اللحظات الأخيرة لنا على وجه الأرض، قبل مغادرة الروح سجنَها بثوانٍ، عندما تهيم العينان في اللا مكان، وتجفُّ الشفاه، وينعقد اللسان، ويبدو كل شيء في حجمه الطبيعي وصورته الأصلية. وربما لهذا السبب عينه، لا أحد يتكلم ساعتها، ولا يدلي بمعلومة مفيدة، حتى لو حاول، أو جرؤ على الخروج على النص، إنهم لا يريدون أن يهدموا الأسطورة، أو يبددوا الغشاوة، إذ من المُقدَّر أن تستمر اللعبة للنهاية، حتى يُجربها كلّ منا على حدة، وحده، ويعرف -أو لا يعرف!- لماذا جرى ما جرى، ولأي غرض كان كل هذا.

لعلّه.

t.me/qurssan

الغُرَفُ القديمة

عندما خرجنا إلى العالم من غُرفنا القديمة الدافئة ساقطة الطلاء، المليئةِ بصورِ ممثلاتٍ ومغني راب أجانب وأبطال خياليين، وبدأنا ندرك حقيقة أنه لا يمكننا العودة إليها في أي وقت -كما السابق- لأننا ها كبرنا، وأصبحنا خطيرين كالآخرين، ويتحتم علينا مواجهة كل ما سيقابلنا، للانتظام في الدائرة الكونية الجبّارة وإضافة طوبة -لا قيمة لها غالبًا!- إلى جدار المعرفة الإنسانية.. ربما في هذه اللحظة بالذات بدأتْ مخالبنا النفسية -التي لا نجرح بها إلا أنفسنا!- في النمو.. ببطء، وحذر، كي تأمن مواجهتنا لها وهي ضعيفة، وتُكمل عملها في صمت، تحسبًا للحظة التي سنجد أنفسنا فيها في حضرة حقيقة أنه لا أمان/لا دفء/لا مودة/لا محبة على الأرض، لا في حضن حبيب، ولا جوار صديق، ولا في كأس أو سيجارة أو حبّة أو في دار رعاية المسنين تحت كنف ابن يتظاهر أنه بارٌ بنا.

t.me/qurssan

وحدها الغرف القديمة تعرف السر، ومع ذلك تركتنا نهجرها ونُكمل المسيرة، نقشرُ الشرنقة التي حمتنا داخلها ونُلقي بأنفسنا في الخضم، إرضاء لتوقنا الأبله للخروج منها وسعيا وراء وهم أننا نضجنا كفاية لمواجهة العالم!

في رحلتنا، ربما نكتشف أننا أوغاد أو حقراء أو خائنون أو تافهون، لكننا نرفض الاعتراف بهذا -ككل الحقائق في حياتنا- كي نظل قادرين على الزحف للأمام، والمشاركة في العرض الإنساني الهستيري العام: أننا نقاوم ونُنجز ونتحقق ونصل، فيما ندرك -في أعمق نقطة من قلوبنا- أننا مهرّجون ليس إلا، أننا لا شيء، مجرد صفر على يسار الكون، يستكمل بنا صورته البهية، على حساب الكثير من الألم الذي نتجرّعه، والغُربة التي تبني بيوتها في كل قطرة دم داخلنا على حدة، والفقد الذي يطعن به قلوبنا كلما لاح لنا طوق نجاة. ثم في النهاية فإن كل ما نفعل أو نحقق أو نصل إليه لا يعنيه -الكون- في شيء، ولن يغيّر قيد أنملة من خططه الكليّة المانعة الجامعة التي وُضعت قبل مجيئنا بملايين السنين!

إن الحياة، في صورتها الراهنة/القديمة مساحة موبوءة لتأكيد ذواتنا في مواجهة اللا شيء واللا معنى واللا جدوى. لقطة فلاش مثبّت على كاميرا عملاقة في مجرّة نافرة لا تعلم/لا تبالي بوجوده. رسالة متهرّئة في زجاجة يحملها بحر هائج للتحطم على جزيرة لا يقطنها بشر. ولعل نهايتها بعظامنا النخرة يأكلها الدود فوق بقايا ملايين مَن سبقونا إلى نفس الأرض، وربما البقعة عينها، هو الشيء الوحيد المنطقي اللائق ببدايتنا القسرية!

t.me/qurssan

فبما يبقى الإنجاز، وترك أثر وعلامة، وخط سير يتنكّبه محبّونا وشهداء محنتنا وبلا بلا بلا بلا، أسطورَتنا المفضلة في ليالي الوحدة وشتاء المشاعر وجفاف الأوردة والطرد خارج الصفّ، في لحظات الهزيمة واستراق النظر للغيب والانسحاق أمام اكتشافاتنا المتجددة لضآلة حجمنا ولا قيمتنا.

أنا خائف، ومذعور، وفاقد للرغبة، وغير قادر على أخذ خطوة واحدة إضافية للأمام، لكن لا يمكنني الجهر بهذا، لأنه يجرح جوهرة السلام الإنساني التي ندّعي جميعا أننا نملكها، يطعن وهمنا وخيالاتنا في مقتل، ويؤذي أحبّاءنا الذين يبذلون قصارى جهدهم لردعنا عن الخوف، لذا ينبغي فقط أن أغيّر قِناعي كلّما أحسستُ أن القديم لم يعد يعمل، وأقفز في مزيد من التحديات التي لا أستسيغها ولا أرى لها أي داعٍ، وأبتسم في وجه الجميع -حد الذبح!- لأنه هكذا يجب أن تجري الأمور، لأنه هكذا النّصُ مكتوبٌ والمسرحيةُ أُخرِجت.

إن تعاطي الكتابة والموسيقى والفن والأصدقاء والبكاء والحب: محاولة مضحكة للتغطية على كل الثقوب الفاغرة فاها في أعماقنا، محاولة للالتفاف على الوحدة التي تنزع أظفار بشريتنا بالكماشة، محاولة لتأكيد ذواتنا في مواجهة العدم الذي يقضم قطعة كبيرة من أرواحنا كلّما اقتربنا أكثر من الحافة وكشف الحقيقة، غير أن المحصلة النهائية واحدة في النهاية مهما اختلفت الطريق الاي سلكناها لنصل: لا شيء!

أنا الرجل/المرأة/الطفل/الطفلة/الشاب/الشابة/الشيخ/العجوز الذي رأى كل ما استطاع رؤيته، وذاق كل ما استطاع تذوقه، وأحس كل ما وصل إلى أطرافه، أحب وكره وصدق وكذب وخان وأوفى وجرح وجُرح وصفا

t.me/qurssan

وتعكر وأكل وشرب وجرى ورقد وسبح وقاد ولعب وبكى وضحك.. ثم وقف على قمة هذا العالم يفرك عينيه ويحرك أذنيه ويدير رأسه في كل الاتجاهات المعروفة بحثا عن كنه أو حقيقة أو معنى أو بشارة أو أمارة أو قوس قزح، فانتهى به الأمر محدقا في مطفأته الارتجالية بينما ثلاثة أعقاب سجائر تحترق نافثة بقايا دخان صدره، متنافسة على الفناء، وفوقه ضوء أصفر باهت لمصباح ينافسه وحدةً، في ليلة شتوية، وبقايا صوت راديو عتيق، بتشويش خفيف، تغني فيه أم كلثوم كأنها تُحتضر.. "يا حبيبي ما بأيدينا خلقنا تعساء..."

أنا الرجل/المرأة/الطفل/الطفلة/الشاب/الشابة/الشيخ/العجوز الذي لم ير كل ما تصور أنه يستحق رؤيته، ولم يذق كل ما تمنى تذوقه، ولم يحس كل ما تاق ليحسه، أحبه آخرون وكرهوه وصدّقوه وكذبوا عليه وخانوه وأوفوا له وجرحوه وصفوا له وتعكروا عليه، ثم وقف على قمة هذا العالم، يفرك عينيه ويحرك أذنيه ويدير رأسه في كل الاتجاهات المعروفة بحثا عن كنه أو حقيقة أو معنى أو بشارة أو أمارة أو قوس قزح، فانتهى به الأمر محدقا في إهداء قديم كتبته له واحدة من حبيباته، تقول له فيه "لن تستريح أبدًا، لأنك لا تعرف ماذا تريد، ولن تعرف إذًا أبدا!"

كلُّ الذين امتلكوا شَرْبة لا نظمأ بعدها أبدًا، حِضنًا لا نبرد بعده أبدًا، لقمة ساخنة لا نجوع بعدها أبدا، سقفا ظليلا لا نشقى بعده أبدا، ثم قرروا -كالله- أننا لا نستحق، فأوقفوا أجهزة التنفس الصناعي، ودفعوا بنا للخروج عن مداراتنا إلى العدم وانقطاع الهواء ورحمة الثقوب السوداء: رسموا خطًا أسود في اللوحة البيضاء التي كنّاها،

t.me/qurssan

حتى لم يعد الضوء ينفذ من خلالها، ولم يعد أحد يفهمها أو يجد لها فائدة!

لكنّ عزاءنا الوحيد أنهم مثلنا في النهاية: مكتوبٌ لهم الخيبة والهذلان على ظهر تذكَرة المجيء إلى الأرض، فقط لم يكن الأمر بأيدينا، وإنما سوانا من سيتولاه.

في لحظات الشك الكبرى -كما لحظات اليقين- أقف على حواف الأشياء، أنظر عن كثب، ولا أدري هل أقفز فأنتهي إلى حقيقة/لا حقيقة ما كابدتُ، أم أسكن فأدير ظهري وأعود إلى القطيع، أفتح الور وأسلّطه في عيني وإن صمدتُ أمام الوهج أبصرتُ نقطة البدء، أم أنغرز في العُتمة وأصدح بالمسلّمات، أتجرّع الكأس لآخرها طامعا أن تكون لي كحصانة راسبوتين ضد السم، أم اشرب عصير الكيوي باللبن من وسط البلد وأجلس على المقهى لألعب الدومينو الأمريكاني!

يشنقني المجازُ على باب كهفي البدائي الذي أدّخره مأمنا نهائيا للعودة إليه يومًا، ويتخلل الدفءُ الإنساني عظامي ليعصر إرادتي في الاختفاء، ويجرجرني قسرًا من شعري نحو صخب الصحبة والونس، "لأمقق" عيني من جديد في أطلس الإنسان وقاموس فجيعته في نفسه، في محاولة متكررة للانسحاق ثانية تحت جناح الدائرة الجهنمية التي لا تشبع، لمد أمد المكابدة.

لكني ذات يوم -يحسبونه بعيدًا وأراه قريبًا- سأكسر الدائرة للأبد وألقي بنفسي في الخضم الهادر للتاريخ السرّي للتحرّر من كل ما لا يُطيقون التحرر منه، فتزداد قامتي ويحتد بصري وتَطوّل يداي بما فيه الكفاية لتمرّ كل المشاهد/الحكايات/الدموع عبري، فأمنع وأمنح

t.me/qurssan

وأرتّق وأخرّب كيما أشاء، وأعيد ترتيب القطع وصوغ الكلمات وحياكة الأغاني وترتيب المشاهد، كما في غرفتي القديمة السرية كنت أفعل، دون أن يعرف أحدٌ أنني ما زلت ها هنا.

t.me/qurssan

المقالة السوداء

قاسِ هو الاعتراف باللا جدوى، بأن شغلَكَ حيّزًا من الفراغ لم يكن كافيًا قطّ ليلاحظك أحد، أي أحد، لدرجة أن يرجو البقاء معك ويبذل "بعض" الجهد ليحقق ذلك.

حتى أولئك الذين اقتربتَ منهم فرأيت الله فيهم، كسرتَ معهم خُبز المودة وشربتَ نبيذ التلطّف، ومنحتهم تصريح إقامة دائمة في قلبك، كي يطرف لهم رمش ويلاحظوك، لم يفعلوا!

فردتَ أصابعك بالعطاء -حتى يَبِستْ ولم تَعُدْ قادرًا على ثنيها- فزهدوها وظنّوها شماعة، راحوا يعلّقون عليها مهملاتهم حتى تكسّرتْ، فصنعتَ أصابعَ خشبيةً مددتَها بالعطاء ثانية، فأشعلوا فيها النيران ليتدفّأوا ساعة شتاء!

هي درجاتٌ من ترتيب المنافع للخروج بأعلى عائد على استثمار وجودهم في الدنيا، وأنت لا يعدو وجودك محاولةً يائسةً للتظاهر

t.me/qurssan

بتوازن غير حقيقي في دائرة العلاقات الإنسانية، ذرة غبار عالقة بذيل صاروخ مهول يسافر آلاف السنوات الضوئية ليصفّق العالم لاكتشافاته المذهلة!

لكنكَ ترفضُ الاعتراف بحجمك، تعافر، تُصرّ على الدخول من الأبواب المغلقة، تطارد خيوط النور على ضآلتها، تصرخ بأعلى صوت في منتصف الحَدَث، تصطلي بنار الحلم وجمر الخيال، تنهض إثر كل كسرة ظهر، تفرد صدرك وتنادي بأعلى صوت، علّ معجزة تحدث، علّ أحدًا ينطق اسمك مرّة من قلبه فتجب لك المغفرة. الصالحون منذ بَدْء التاريخ فهموها، وسلّوا ثيابهم من ثياب الناس وانعزلوا في صوامع الإيمان ورفعوا أكفّهم أمام الواحد القهار وبكوا ليخرجهم من محنة الحياة، فنجوا وإن بجروح وفواتير، لكنك أضعف من أن تسير على الدرب الوعر، وأرق قلبًا من أن تتخلى وتتحلى فتتجلى!

تريد أن تلازم الناموس، أن تغترف شَربة بيدك، أن تعرف، أن تلامس وتدنو وتقارف، يهزمك الأدرينالين وتهزمك شاعريتك، يهزمك أملُك الغضّ وتهزمك رهافتك المفرطة، فيما كل الرحلات التي قطعتها لم توصلك إلا إلى مزيد من العطش، كنتَ دائمًا مؤقتًا، عابرًا، ابن وقتك ولحظتك، لا تبدأ حتى تنتهي، ولا تنال حتى تفارق، ثم تُنبذ في العراء تحت شمس اللا يقين واللا معنى!

لا أحد، ممن مرّوا على قلبك بعجلاتهم، رآك حقًا، التفتَ للوراء وألقى نظرة ثانيةً عليك، لم يكن ضمن أولوياتهم أن يروا موقعك من التجربة وما صرتَ إليه. لم يصلهم صراخك في البرّية ولم تلوث أصابعهم دماء جروحك ولم يعكّر صفوهم نبأ تكسّر مجاديفك. أنت لا تساوي أكثر من اللمحة التي يمر فيها طيفك أمام عيونهم فيتجاوزوه فورًا، لا

t.me/qurssan

ـساوي أكثر من محاولتهم الفاشلة تذكّر اسمك يومًا على سبيل التندر والتسلية، ولن يتذكروا إذًا أبدا.

كل محاولاتك لتصبح عاديًا، تُغمض عينيك وتنبذ إرثك ويقينك إلى جوار الحائط وتمضي قدمًا في المسارات نفسها التي يقصدها الجميع، ارتد في صدرك فتقتلك، فترفّع، وتتباعد، ثم يحييك أمل طائش، فيجرجر قدميك ثانية للتورّط في فخ المعافرة، فقط لتلقّى حتفك بطريقة أخرى، منى لأصبحتِ وسادةً ناعمةً يريح عليها الخذلان رأسه يوميًا، وينام قرير العين!

الحياة تنبض داخل قلبك، لكن لا أحد يسمح لك بذلك. المشاعر تصطرع وتتدفق، لكن لا أحد يمنحك فرصة عادلة، الرغبة تتفجر في شرايينك، لكن لا أحد يراك جديرًا بأي شيء!

أنت خفيٌّ، بعيدٌ، وحيدٌ، غيرُ مُفعّل، لا تصلحُ للاستخدام الآدمي، منتهي الصلاحية، عابرٌ، لحظيٌّ، مؤقتٌ، مرحليٌّ، فارغٌ، مُتجَاوَز، مظلمٌ، مدفونٌ، سَقَط، خطأ برمجي في خوارزمية الكون، لا أحد على مقاسك، لا أحد يحبك..

وأنت تعرف جيدًا ما ينبغي لك عمله.

t.me/qurssan

t.me/qurssan

لماذا كان كلُّ هذا حقًا؟

الحكايـاتُ هـواءٌ.. عديـمُ اللـونِ والرائحـةِ، ثـاني أكسـيد كربونـه أكـثر مـن أكسـجينه، والتجـاربُ.. مُحـاكاةٌ مُضحكة/مُبكيـة لمـا يجـب ألا تكـون عليـه الأشـياء أبـدًا، والحـبُ.. بحـرٌ هائـج كلَّـما تصـوَّرتَ أنـك أبحـرتَ فيـه مليًـا، وأوشـكتَ عـلى بلـوغ شيءٍ منـه، اكتشـفتَ أنـك لا تـزال عـلى شـاطئه المـليء بالصخـور المُهلكـة، والصداقـةُ.. قنـاعٌ ضاحـكٌ مـن الخـارجِ بـاكٍ مـن الداخـل، يسـقط لـدى أول اختبـار حقيقـي -كأن لم يكـن- مُورِثـا القلـبَ حسرةً لا تندمـل، والشـخوصُ.. لاعبـو أكروبـات، يتسـلّقون الحبـلَ ليبهـروك ويخطفـوا قلبـك وعينيـك، ثـم لا يلبثـون أن يشـنقوك بـه!

فـكل مـا خُلِـقَ مـن أجلِـك.. خُلِقْـتَ مـن أجلِـه، ومَـنْ يسـبِق منكـم، فلـه أن يعبـثَ بالآخـر ويبيـع ويشـتري فيـه كيفـما شـاء!

t.me/qurssan

أما الغاية النهائية، فلا أحد يعرفها!

وعندما تَعمى الأبصارُ التي في القلوب، نستعينُ بالعَلاقات، لنقف على أقدامنا في مواجهة ما لا نفهم، فإذا بها تقطع أيدينا وأرجلنا من خِلاف، وتصلِبنا في مهبِّ كل الأسئلة التي بلا إجابات، حاملين فوق ما كنّا نحملُ أطنانًا من الدهشة وعدم الفهم والألم، لا ندري أكان الخطأ أن بدأناها أم أنهيناها، أن حلُمنا بلحظاتِ قُربٍ وتضميدِ جراح، أم نسينا سابقَ ما مررنا به وتصوَّرنا أن نهاية مختلفة في انتظارنا!

إننا نأتي إلى هذه الدنيا -فقط- ليُؤلم أحدُنا الآخر، ثم يمضي إلى حيث يدفع فاتورته الثقيلة، وحده، ويواجه مصيرًا غامضًا، لعله لم يتوقّعه أبدًا، لا أحد يرحم أحدًا إن قدِر عليه، ولا يُهوِّن أحدٌ على أحدٍ الرحلةَ إن تسلّل إلى عيوبه وأمسك بخنَاقه. فالبشر أسوأ إضافة للحياة، وأجدى منهم: الشجرُ الذي يثمر أو يُظلّل عابرًا، والحيوانُ الذي يلعبُ دورًا في حفظ توازن الطبيعة ويُغذِّي قاتلَه، والجمادُ الذي يشغَل مساحة من الفراغ فيملأ العينَ والروحَ، أما الإنسانُ.. فلا فائدة حقيقة تُرجى منه، ولا دور له إلا تبرير خشيةِ الملائكة عندما أخبرها ربّ العزة أنه خالقه. كانت تدرك بفطرتها أنه سيكون كارثة تلحق بالعالم!

ثم تتعلّمُ أنْ لا شيءَ يُطيلُ البقاءَ إلّا السهوَ والخطأ، وإلّا الزَبَد والمَسْغَبَة، إلا لحظات السقوط المُدوّية وتقشّر النوازع الخفية في مواجهة الغريزة الهادرة، أما ما ينفعُ القلبَ.. فيذهبُ جُفاء، ويغورُ في الأعماق السحيقة التي تقطُنها حيّات الأساطير ووحوش الميثولوجيا اليونانية الغبيّة الفاتنة، فإذا الذي -كنت تحسَب أن- بينك وبينه مودَّةً: رجيمٌ لعينٌ، كأنّه أنتَ تمامًا حينَ تتوحّش، حين تخلعُ نعليك في

t.me/qurssan

وادي الشهوة المقدّس وتنهش. وكلنا ناهشٌ ومنهوشٌ، طاعنٌ ومطعونٌ، مستحقٌ للّعنة وللمرحمة!

ولعلّ ذلك يُعيدنا إلى السؤالِ الأكثر جوهرية ومصيرية الآن: لماذا كان كل هذا حقًّا؟

لماذا خلقنا الله من البداية؟

لماذا وضعنا في التجربة التي عجزتْ الجبال والسماوات والأرض على ضخامتها وقوة بنيانها!- عن التصدي لها، وفضّلت الهروب الآمن إلى ملاذ اللا فعل واللا حياة؟!

لماذا أقامَنا في المحنة وعَصْفِ الأسئلة وشُح الإجاباتِ وطولِ المسيرِ وفداحةِ الخسارات وجُرم الاجتراء على المعرفة؟!

لإعمار الأرض؟

وهل ما فعلناه في الأرض إعمارٌ؟

القتل والخراب والعنصرية والتجبّر والاستبداد والقهر والفُرقة والتدمير والتناحر والإحن والإذلال وتغيير وجه الحياة للأسوأ طوال الوقت، وكلما واتت الأقوياء منّا الفرصة!

بل وليس الأقوياء وحدهم، فلو تأمّل كلٌّ منا في كفيه لرأى -رأي العين- آثارَ الظلم والخديعة والتجبّر والقسوة والاستهانة بشرائع الله تسيلُ من بين أصابعه، حتى تروي الأرض! ولو فتّش في قلبه، وأظهر نواياه للعلن، لأدرك أي إعمار قدّم للحياة حقًّا، أي إسهام وإضافة لا قيمة لها على الإطلاق!

t.me/qurssan

والتاريخُ خيرُ شاهدٍ على كل المهازل التي جَرَتْ على مسرح الكون منذ بدء الخليقة، حتى لا يمكننا أبدًا أن نقول بثقة وضمير مطمئن إن رحلتنا على هذا الكوكب البائس كانت إعمارًا من أي نوع! وحتى اللحظات المضيئة في تاريخ الإنسانية: بناء الحضارات والاكتشافات المذهلة والصمود البشري، اللحظات الضخمة المهيبة التي حفِظها لنا الأجداد، وردّدوها على مسامعنا بكل فخر وعزّة: هل كانت تساوي حقًا كل هذا العناء، وملايين اللحظات من الشقاء والكبد والمعاناة والألم واليأس والرغبة في الفرار من هذا الجحيم؟!

ثم أين غابت؟ وأين استقرّ بها الحال في النهاية؟ هل دامتْ؟ هل شفعتْ لنا في مواجهة الفقد والألم والوحدة؟

لنعبد الله حق عبادته؟

فهل هذه حقًا خيرُ عبادةٍ نُقدِّمها للخالق الواهب المِعطاء الذي لم يدّخر جهدًا في سبيل منحنا كل شيء؟ عبادة التقصير والتخاذل والخضوع للشهوات والوقوف بالسنوات أمام الأبواب المُغلقة والحيرة والتذبذب والمحنة والنصب والاحتيال والنفاق والتقيّة، ثم إذا بالموت في النهاية يضم كل أوراق الكوتشينة -بغتة- في قبضة يده، وينثرنا في مهبّ القيامة؟!

ثم هل يحتاج الله أصلا لمن كانوا مثلنا؟

هل نُمثّل أي فارق على مقياس الكون الوسيع، ذي الأجرام الهائلة والظواهر الباهرة والمساحات الشاسعة التي لن نبلغها حصرًا حتى نهاية الزمان؟

t.me/qurssan

ما الميزة التي يمكن أن تتمتّع بها مخلوقات مثلنا، ضعيفة وبائسة يجري منها الشيطان مجرى الدم، حتى تكون لعبادتها/عصيانها كل هذه القيمة، وتحتاج إلى كل هذا المجهود والخلق والتهيئة؟!

من نحن أصلًا لنُشكّل فارقًا في أي شيء!

ليتجلّى علينا -جلّ شأنه- بصفات الرحمة والعذاب؟

لكن ألا يجعل هذا منّا مجرّد ديكور في النهاية على خلفية المشهد الكوني المهيب دون قدرة حقيقية على الفعل والأداء؟

ولماذا لم تكن الرحمة هبةً دون تجربة؟ وكانت مقدّمة على العذاب والمحنة، وهو سبحانه مالك كليهما، ورحمته سبقت غضبه؟

ثم ما الذي يجعل الوجود أكثر قيمة من العدم؟

وجودنا بكل ما نحمله من إرث ثقيل وأحلام غامضة وأمنيات مستحيلة وخذلانات تقصم الظهر وأمراض تنغّص الحياة وآلام تحفر عميقًا في كل أخاديد روحنا، في مقابل العدم، الانطفاء التام، واللا خير واللا شر!

ما القيمة الحقيقية لكل ما نكابده في الحياة؟!

المتعة؟ وقتية، ودائما ما يخالطها الألم، وتجلّيها مرهون بالجهل، فإذا وَعِينا شَقينا!

تجنّب الألم؟ نادرًا ما نفلح في ذلك، مع تعقّد مساراتنا في الحياة وتوحّش رغباتنا وغرقنا في التفاصيل والمُشتّتات والابتلاءات!

t.me/qurssan

التحقّـق وإثبـات الـذات؟ وقتـي، نسـبي، ولا يكفـي وحـده للصمـود في وجـه حقيقـة أننـا أجهـل مـا نكـون بأنفسـنا، وبمـا ينفعنـا حقًـا ونحتـاج إليـه!

العلـم والمعرفـة؟ يتغـيّران ويجلبـان الشـقاء والفُرقـة والوحـدة أكـثر مـما ينفعـان، بـل إنهـما الـسرُّ الخفـيّ وراء مـا نكابـد ونعـاني، ولـو كنـا ارتضينـا البقـاء في كهفنـا الأول ببسـاطة وتلقائيـة، لمـا كنّـا قـد عقّدنـا الحيـاة إلى هـذه الدرجـة المؤسـية!

التشـييد والعـمارة؟ وهـل تسـاوي الحجـارة دمـوع إنسـان؟ وهـل لأي شيء -وإن عظُـم- بقـاء؟!

الحـبّ؟ جـرح مفتـوح الفـم لا يكـفّ عـن التهـام كل لحظاتنـا السـعيدة وطموحاتنـا، يُدنينـا حتـى إذا مـا أوشـكنا عـلى النـوال، أقصانـا، ويقصينـا حتـى إذا مـا أوشـكنا عـلى البُرء فتـح أمامنـا سـككًا هزليـة للصفـاء مـن جديـد، إنـه لعنـة، لا خـلاص منهـا إلا بالمـوت!

فلماذا كان كل هذا حقًا؟!

لماذا!

t.me/qurssan

ملاذٌ يغادر!

أمس فقدتُ صديقًا ثمينًا، كان أحد الملاذات الآمنة القليلة الباقية في جعبتي. لم يمتْ، لا يزال على قيد الحياة، لكن ليس بالنسبة لي!

توازتْ خطوطُنا للأبد في لحظةٍ جارحةٍ ولم يعد ممكنًا أن تتقاطع!

أتذكّر: في البداية اصطفيته، ثم منحته نسخة من مفاتيح الحجرات في قلبي -الآمنة والملعونة- ثم أخذت أطراف أصابعه ووضعتها على كل الجراح والثقوب التي خلّفها الراحلون، الآن أصبحت لديه "داتا بيز" كاملة بكل ما يبهجني ويقتلني، أما كل ما طلبته منه في المقابل فأن يكون -فقط- إنسانًا، فاستخفّ بي.. ولم يكن!

يا ألله، كم هي قبيحةٌ حقًا وجوه الذين كنّا نُحب، بعدما سقطت الأقنعة، وأصبحنا ننظر إليهم بعين الباطن لا الظاهر، وفي نور التجلّي لا الأمل، وعلى مرمى حجر من الوجع لا السكينة!

t.me/qurssan

تهزمنا الخسارات والتوقعات، يهزمنا العشم وحسن الظن، تهزمنا التربية الحميدة في بيوت آبائنا ونصائح الجدّات، وتمزقنا محاولات ادعاء البراءة، وإلقاء الكرات في ملعبنا حتى تحجب عنا وهج الشمس، لكن أكثر ما يجرح مع نزول تترات النهاية: أننا كنا نعتقد -بسذاجة- أنهم مختلفون.. ولم يكونوا!

بَرْدُ الداخل!

شعر بالبرد فجأة. كانت درجة حرارة الغرفة معتدلة، ملابسه ثقيلة، لا يشكو من مرض، مَن حوله يضحكون ولا يعانون معاناته، لا يوجد سبب ظاهر لاختلال الشعور.

بعد لحظة، أدرك أن البرد من الداخل لا من الخارج.

من نقطة في الروح لم تعد ترى نورًا أو نارًا تستدفئ بوهجها.

من لحظة مضت عليه دون أن يغتنمها، وهو يظن أن في العمر بقية للحظاتٍ مماثلة.

من علاقة تمنّى أن تكتمل، لكن لم يتحرّك في اتجاهها.

من إنسان أحبّه ولم يملك الجرأة لإخباره.

من حلم، كان أكسل من أن يمدّ يده نحوه ويقطفه.

من لحظة جُبن أضاعت عليه تذكرة مجانية لدخول الجنّة.

أطرق، همس لنفسه، وهو ينهض مغادرًا الجَمْعَ، ومسلمًا نفسه لوحدة يعرف أنها ستطول هذه المرّة:

- ليس لمن خَذَل نفسه أن ينتظر إنصاف الناس!

t.me/qurssan

نقطة عمياء!

كنتُ أعلمُ، ومع ذلك أخذتُ الخطوة الأولى وتقدّمتُ. إنه ذلك الوهم الخفي أن كل شيء سيصبح على ما يرام، أنني دفعت ثمن كل شيء مرّاتٍ ومرّاتٍ ولعلّي هذه المرة أقطف فرحة هامشية لا يحتاج إليها أحد، أو -على الأقل- أبقى في الجوار، على الهامش دون المتن، في النقطة العمياء بعيدًا عن شغل حيز في الفراغ، قبل أن أكمل رحلتي من اللا شيء إلى اللا شيء الأعظم!

أفتشُ في قائمة هاتفي عمّن يمكنني الاتصال به ثم البقاء صامتًا تمامًا معه دون الاضطرار لشرح أي شيء.

اللغة استقالت من لغتها والحروف قشّرت معانيها ونفضتها ثم هرولتْ حاسرة الرأس تبحث عن مجاز يستحقها!

عيني تُفلت الاسم وراء الاسم دون أن يَعْلَق بها شيء، غابةُ الأشخاص في حياتي تتمدّد دون ظل، تُهديني وحوشها وتئد حيواناتي الأليفة، تأكل لحم وجهي وأصابعي وتقضم كبدي ثم تلقيني عظامًا نخرة لا تصلح حتى للشفقة!

أتوقف، أشعل سيجارتي الأخيرة، أرسم دائرة متوسّطة الحجم بالطوب والحجارة على الأرض، أضع الهاتف فيها وأمضي مخلّفًا ورائي نفسي.

هناك طريق واحد أعرف يقينًا أنني تأخّرت عن السير فيه، وأن الوقت قد حان أخيرًا كي أدنّسه بالمعرفة، بالقنوط والرهبة والاختيار، بالحلول والتجلي، باللا رغبة واللا معنى.

طريق واحد لعله -هو الآخر- لا يلفظني!

t.me/qurssan

صَخَب

في المناسبات الصاخبة، أقف في ركن وحدي، أعطي ظهري للعالم، وأخلُص بوحدتي نَجيًا.

أحدّق في اللا شيء، في البعيد الذي قد يأتي وقد لا يأتي، أقارن بين قمّة الامتلاء، والفراغ المدقع، ذروة الضوضاء، ودَركات الصمت المميت، وأكتشف، لدهشتي، أن الحالات جميعها ليست حقيقية لهذه الدرجة، الخطوط ليست صارمة، والتسميات لا تعني تمامًا ما تشير إليه، الأمر جميعه تجليّات للروح التي يمكن أن تجد البهجة في عمق الحزن، والحزن في عمق البهجة، فلا شيء بهذه الجدية حقًا في عمرنا، لا الحياة، ولا حتى الموت!

جُلّ أصحابي!

مؤخرًا فقدتُ جُلّ أصحابي؛ واحدًا تلو الآخر!

كانوا يتساقطون كأوراق شجر مصفرّة في مهبّ ريحٍ عاتية، يحملون ذكرياتهم ويغادرون في عجالة، دون أن يرتّبوا فوضاهم، أو يلقوا نظرة واحدة خلفهم!

في البدء كنت أستوقفهم وأسألهم عن السبب، وألحّ في السؤال، ثم لما تكرّر صمتهم لم أعد أفعل!

ربما يكونون قد ملوا، أو نضجوا كفاية، أو يئسوا، أو اغتروا، أو عرفوا أكثر من اللازم، أو استيقظوا.. لا يهم، النتيجة واحدة في النهاية: سيكون عليّ اختراع العجلة من جديد، وملء الفراغات التي تركوها

t.me/qurssan

وعود محتملة وأكاذيب باهرة، وإقناع قلبي ألا يأخذ الأمور بكل هذه الجدية ثانية!

سيكون عليّ أن أتذكر كيف كنت أقضي وقتي قبلهم، وكيف أفك الاشتباك بين أحلامي وأحلامهم، كيف أقف وأمشي وآكل وأحلم وأعمل دونهم، وكيف أفرش للحزن سجادة ناعمة في قلبي يقعي عليها ككلب ألبف، منتظرًا عودتي متأخرًا كل ليلة ليقرع كأسه بكأسي!

سيكون عليّ أن أكون!

كقاتلٍ محترف!

لبعضِ الأماكنِ رائحةٌ -كقاتل محترف- قادرةٌ على استحضار كل ما مضى في لحظة، وتفتيت عشرات السنين من المكابرة كقطعةِ بسكويتٍ مغمورةٍ في كوب شاي دافئ بالنعناع، فإذا بك تقف عاريًا من الحَوْلِ والقوةِ في حرُ الذكرى ووهجِ الحكايات، لا تدري أتُقدم أم تُحجم؟ أتصل أم تقطع؟ أتساير أم تكابر؟ أتلك لحظتك التي انتظرت عمرًا، أم آخر لقطة في قصة مؤسية لم تدر لماذا بدأتْ ولا لماذا انتهت، ولا كيف حملتَ عمرك وأكملت طريقك بعدها لا تلوي على شيء!

سَقَر

تصمد أجسامُنا وئيدًا لكن أرواحنا تتألم من هول ما ارتكبناه في العتمة، دون أن يمسك علينا أحدٌ دليلًا، إننا لا نفرّ حين نفرّ، ولا ننتهي حين ننتهي، إنما نقع في فخٍ أكبر، ونتيه في بحر أعمق، وفقط حين

t.me/qurssan

نظـن أن شـوكة المـاضي انكـسرت في قلوبنـا وأننـا أفلتنـا، يخـرج الجسـم عـن صمتـه ويتداعـى، دون سـبب واضـح إلا أن يـصرخ فينـا: ذقـتُ ولم أنـس. فـإذا الـذي بينـك وبينـه مـودّة كأنـه عـدوٌ حميـمٌ، وإذا العفاريـت والمسـوخ والشـياطين والأرواح المعتمـة والذكريـات كيـدٍ واحـدة، تنهـش حيـث تُوجـع، وتنخـز حيـث تهـدم، وأنـت في الخضـم ترنـو إلى وجـه حسـبته سـكنًا فـكان غربـة، ومسـتقرًا فـكان سـفرًا طويـلًا في سـقر!

مفتاح الـ Enter

أعرفُ الطريقَ..

لكنني غير قادر على السير فيه..

أملك الدواء..

لكنّ نفسي تعافه..

أدرك الحل..

لكنني لا أجرؤ على الأخذ به..

فلوحة مفاتيح قلبي..

ينقصها مفتاح الـ Enter!

t.me/qurssan

الحقيقيون

للفوضويين، الذين لا يجيدون الطهي والكي وترتيب أغراضهم بحرفنة في الدواليب المصمتة، وحزم حقائبهم للسفر البعيد، لا يتقنون الاحتفاظ بعلاقة أكثر من طرفة ألم، وعمل أكثر من ومضة جهاز بصمة، لا يملكون ردودًا مفحمة إزاء المُستخفّين، ولا حججًا مقنعة في مواجهة المشككين، ويُخطئون في جدول الضرب، ويفشلون في الالتزام بالريجيم، ويعدّون على أصابعهم لحساب الباقي من ٢٠ جنيهًا، يحلمون بتغيير العالم ويكسلون عن تغيير محطة التلفاز، ينسون ويتلجلجون ولا يحفظون علامات الطريق ولا يملكون خريطة لأي مكان، ومعلوماتهم عن أي شيء لا تزيد على معلومات جنين في بطن أمه، المبتعدين، المقتربين، الحالمين، الغاضبين، الخائفين، المؤتنسين، المارقين، الواصلين، المنقطعين، الآملين، اليائسين، الطامعين، الزاهدين، الذين يقتحمون الحياة بصدور عارية وقلوب مطعونة وأيدٍ خاوية، فيضحكون منها ولها وبها وعليها وفيها، ويبكون ويلعبون ويحبّون ويكرهون ويصرخون ويحيون ويموتون، بجماع ما حصّلوه في حيوات سابقة وأعمار فائتة، من لذة وألم وترفّع وانغماس وإرادة للفهم والكشف والاتصال بالسر، يتلقون الطعنات فينهضون، ويفرمهم الخذلان فيعافرون، ويفقدون كل يوم حلمًا جميلًا وسقفًا ظليلًا ومساحة بيضاء فتنةً للناظرين، فلا ينكسرون، يبحثون عما لا يعرفونه، وينتظرون ما لا يتوقعونه، ويرفضون ارتداء زي موحّد، وأكل طعام معلّب، والوقوف ضمن جوقة لترديد شعارات بائتة.. أنتم الحقيقيون.

t.me/qurssan

يدي القصيرة!

وأما يدي القصيرةُ يا رب، فأطِلها بنوالك، وصبري النافد فأجِره بطلاقة قدرتك، ويقيني المهتز بالأشياء فسكِّنه بتجلّيات رحمتك.. فإذا المحنةُ منحةٌ، والخوف شُرفةٌ بيضاء أُطلُّ منها على حقول المكاشفة والفهم، والألم، وسادةٌ ناعمةٌ أُريح عليها رأسي، والجزع ماءٌ زلالٌ أبتلع به حبّة الرضا ثلاث مرات كل يوم.

المواقف

أوقفني في المحبّة، وقال لي: إذا طرقتَ ولم يُفتح لك، فامكث، وإذا ناديتَ ولم يُؤبه لك، فرابط، وإذا عَمِلتَ ولم يُر لك أثر، فثابر، إنما هو صبرُ يومٍ أو بعض يوم، حتى يُفتح وتِنادَى وتُرَى، فتسكُن.

...

أوقفني في الطمع، وقال لي: لولا إدامة الطَّرْق، ما انفتح باب!

...

أوقفني في القوة وقال لي: إذا تخلّيت -وإن لم تذق- تملّكت. وإذا اشتهيتَ -وإن لم تواقع- نكصتَ، ومن تخلّى تملّى، ومن نكص، نقص!

...

أوقفني في الخذلان، وقال لي: أطفِئ سراجك، وانظر من يهتدي إليك بعتمتك، فمن ذاق عرف، ومن عرف دنا، ومن دنا اتصل، ومن ضلّ، فارَق، ومن فارَق أراح، ومن أراح خفّ وتخفّف وانقضى.

...

t.me/qurssan

أوقفني في الحبِّ وقال لي: إن دخلتَ، لن تخرج كما كنتَ، ولن ترجع سيرتك الأولى أبدًا، سيظل هناك دائمًا رقم ينقص المعادلة، ومِلعقةِ ملح تنقص الطبخة، وحرف غير واضح في كل كلمة تنطقها! فلا تدخل إلا إذا امتلكت تذكرة إقامة دائمة، وجواز سفر ساريًا، ووردة حمراء تَينَع في الدمع كما في الضحكات!

...

أوقفني...

t.me/qurssan

t.me/qurssan

درجاتٌ ودركاتٌ

"تجاهلوني بقسوة حتى استحال جلدي خشبًا،
ولساني ملحًا.

يُبقون عليّ، كمجوهرات منسية في درج، حُليّ في صناديق،

كأس بطولة قديم في قبو".

جانين فيرلي – ترجمة ضي رحمي

t.me/qurssan

t.me/qurssan

الطُعْم

العلاقات -أيًا كان نوعها، وأيًا كانت المنفعة اللي تُقدّمها لنا- مُرهِقة، مُرهِقة للغاية ومستنزِفة ومُحبطة!

ولا أعتقد إلا أن مقولة "الإنسان اجتماعي بطبعه" خدعة فرضتها المدنية الحديثة، وروّج لها أصحاب المنافع، لسحب الإنسان من وحدته ونفرّده واختلافه، والزجّ به وسط ما لا يفهم، لتنميط القبيلة البشرية ولسهيل قيادتها، وغرس بذور الاحتياج في نفوسها لتشغيل عجلة الإنتاج ومن ثم استمرار مكاسبهم القائمة على الاستهلاك!

الإنسان بمفرده عالمٌ قائمٌ بذاته، ويمكن للعوالم أن تعيش منفصلة، متباعدة، دون تعاون مشترك، أو وجع مشترك، أو خذلان مشترك، وتستمر الحياة كأبدع ما يكون، غير أننا -للأسف- ابتلعنا الطُعم جميعًا فتصوّرنا أنه لا حياة لنا إلا بغيرنا، ولا سعادة تتحقق إلا برؤيتها في أعين سوانا، فكانت النتيجة المذهلة: أن الكل خسر في النهاية، الكل

t.me/qurssan

أصبح يتفرج على الحياة ولا يعيشها، الكل أصبح يحملها على ظهره لا في قلبه، الكل أصبح يزحف ويتنازل ويطأطئ ويضحي من أجل لقمة العيش لا أكثر!

وبدل أن تمثّل لنا الحياة تجربة مغايرة نسعى لاكتشاف جوانبها بشغف، فقدنا هُويتنا وفرادتنا وقوتنا، وذُبنا فيها، وتماهينا مع خطوطها العريضة، فانتهى بنا الحال وقوفا -كغيرنا- في الطابور الطويل، ننتظر قرار إنهاء خدمتنا بفارغ الصبر!

وفي التاريخ، التقاء اثنين يعني الصراع وتعارض المصالح والضغينة والحقد ثم الحرب، وليس قابيل وهابيل ببعيد!

ربما تكون هذه نظرة متشائمة للغاية، تزدري ما حققته البشرية عبر تاريخها الطويل من حضارة ووسائل راحة ومنجزات لا يُغفلها إلا مجنون، لكنها في الوقت نفسه إقرارٌ بالشقاء الذي أصبح على الإنسان أن يحمله كالصليب على ظهره ويصعد به إلى أعلى قمة من الخيبة كي يعيش للأبد ضمن القطيع، أو يقرر أن يلقي بكل ذلك في مهب الريح ويقفز فيقال إنه مجنون أو مختل وربما كافر بالنعمة!

نعم نحن الآن نركب الصواريخ والطائرات والسفن ونغوص إلى الأعماق ونأكل ما لم يعرفه السابقون ونختصر المكان بالموبايل ونوجد في كل بقعة على وجه الأرض بالقمر الصناعي والإنترنت، لكننا على الجانب الآخر ازددنا شقاء وكآبة وانعزالًا ونفورًا، أصبحنا أكثر انطواء، ورغبة في الانتحار وطي سجل إقامتنا على الأرض، تسطّحت علاقاتنا وأصبحت قائمة في أغلبها على المصلحة، ولم يعد أكثرنا يتحرك عمومًا سوى بالقصور الذاتي، ودفع من حوله له، ولأن العادة جرت على أن يفعل ما يفعل، لا لأنه يرى أهميته أو يدرك جدواه!

t.me/qurssan

والسؤال المهم هنا: ماذا لو لم يخترع الإنسان كل هذا؟ ماذا لو لم يصل التطور بنا إلى هذه النقطة؟ ماذا لو لم تكن علاقاتنا قد تشابكت وتعقدت لهذه الدرجة وانكشف لحمها عن عظم ناخر ومهوّخ، وفي المقابل بقي لنا صفاؤنا النفسي ورهافة حواسنا وقدرتنا على الاستمتاع؟!

سيقول قائل: لا أستطيع العيش دون إنترنت!

وله أقول: بالتأكيد، معك حقك، بعد أن "جرّبت" الإنترنت لن تستطيع العيش دونه، لكن ماذا لو لم تكن قد عرفته؟ ماذا لو لم يخترع؟ لم تكن لتعرف أهميته ولم يكن ليمثل غيابه أو حضوره فارقا بالنسبة لك، وكنت لتجد وسيلة غيره تشغل بها وقت فراغك وتقضي حاجاتك.

فالحقيقة أننا كنا جميعًا وكان أجدادنا يعيشون ويمضون في حياتهم دون كل هذه الوسائل، ربما بصعوبة أكبر، لكنها كانت تمضي على أي حال، في مقابل قوة أكثر في العلاقات، ومتانة أكثر ووضوح في طبيعة الروابط والغايات التي تسعى للوصول إليها.

التكنولوجيا عقّدت الإنسان، وغيّرت صفاته وعاداته وتقاليده، أو إن شئتَ القول مَسَخته، جعلت لكل منا أكثر من شخصية في الوقت نفسه، وسهّلت علينا الخدع والكذب والتزوير، ورفعت من ثقتنا في أنفسنا حد الغرور، حد التألّه، ما انعكس بدوره على علاقاتنا وصعقها بالكرسي الكهربائي!

إننا نعيش حياة اجتماعية مزيفة، نتورط في علاقات مصطنعة، ونُمضي حياتنا كلها نطارد أكاذيب ونصنع فقاعات في الهواء، في الوقت

t.me/qurssan

الـذي نحـاول فيـه أن نقنـع أنفسـنا أننـا نسـتمتع حقـا بوقتنـا، ونحقـق إنجـازات خارقـة!

رجـل الكهـف الـذي كان يعيـش رهـن الخطـر، ربمـا كان يعـرف قيمـة حياتـه أكـثر، وقيمـة تكويـن الأسرة أكـثر، لأنـه يمكـن أن يُحـرم مـن كل هـذا في أي لحظـة، دون أن يفهـم حتـى السـبب، فيـما نمـضي نحـن في تمزيـق أواصر علاقتنـا بالتجاهـل مـرة وبالتكـبر مـرة وبالتسـويف مـرة وبالخـذلان مـرة وبالغبـاء مـرات، حتـى نسـتيقظ عـلى جحيـم مـن مشـاعر الألم والفقـد والعـذاب وعـدم الفهـم ويصبـح أخـذ النَفَـس في مشـقة الوصـول إلى المريـخ بدرّاجـة طفـل، أو إعـادة الحيـاة لرفـات ديناصـور عُـثر عليـه تحـت ركام مـن الجليـد!

من نحن؟ ما الإنسان؟

مـا هـذا الشـقاء الـذي أصبحنـا نـرزح تحتـه، ولم يعـد أي شيء يجـدي لتغيـيره؟!

مـا هـذه العلاقـات الهشـة المهلكـة غـير المفهومـة التـي تَفْضُلهـا الوحـدة ألف مــرة؟!

مـا العتبـة التـي مـن المفـترض أن نصـل لهـا كي يعـود إحساسـنا بالحيـاة ونتمكـن مـرة أخـرى مـن الضحـك مـن القلـب، والاسـتيقاظ يومًـا برغبـة حقيقيـة في الصحـو والاكتشـاف، وبطاقـة فعليـة عـلى الخـروج مـن الفـراش لمواجهـة العـالم؟!

هـل هـذا آخـر فصـل في الكتـاب فعـلًا؟ وهـل هـذا هـو الكوكـب الوحيـد المتـاح لنـا تجربتـه؟ ولم يتبـق لأي منـا فقـط سـوى أن يظـل سـائرًا

t.me/qurssan

متى تأتي محطته بعد أن تنحَل قدماه، فينزل من على صهوة الحياة إلى جوف حفرة مقيتة في صمت؟!

يا رب..

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها.. ضاقت أكثر، واسودّت، وبانت لها أبواب ومخالب، وليس لها من دونك كاشف ولا معين.

ولو لم تكن قد أخبرتَ أن محمدًا -صلى الله عليه وسلم- آخر الأنبياء، لتضرّعتُ إليك أن ترسل إلينا مُخلِّصًا يُعيد شق قلوبنا عن الحقيقة، ورسم الثوابت التي اختلت، وكشف علامات الطريق التي ضاعت، نورًا ينفي ظلمة نفوسنا ويزرع فينا الرغبة في الحياة من جديد...

أرجوك.

t.me/qurssan

t.me/qurssan

جَعبة لا تفرغ من السهام

مع الوقت تكتشف أنك -حرفيا- تتعلّم من كل ما يمرُّ عليك، حتى مشاجراتك مع "تبّاع" الميكروباص، والكلام العابر الذي تلتقطه وأنت سائر في الشارع من حديث امرأة البواب مع ابنتها الصغيرة، والزعيق، والصوت العالي، وما يطرق أذنك من كلام الناس في الموبايل، من الشغل ومن الجلوس في البيت، من الخناقات ومن المصالحة، من الذين تُحبهم والذي لا تُطيق النظر إلى وجوههم، من القصص الفاشلة والقصص اللي تمّت على خير.

بل أدّعي أنه حتى الجمادات تُرسل ما يمكن استقباله وتأويله (لا أنسى فترة عملي في شركة ما، وقبل إبلاغي بقرار إغلاقها وتسريح جميع الموظفين، انقطع حبل لوحة معلّقة وراء مكتبي منذ سنوات، فانقبض قلبي للتو وشعرتُ بشيء سيء يوشك على الحدوث، ولم تمض نصف ساعة تقريبا حتى أُبلغتُ الخبر، ويكأن حبل اللوحة المتهالك

t.me/qurssan

كان يُمرِّر لي رسالة أن لكل منا عمرًا افتراضيًا سواء في مكان عمله أو في الحياة عموما!).

كل شيء -بلا مبالغة- حولك يرسل إشارات وعلامات وبيانات ونبضات بلا انقطاع، ولا يبقى سوى أن تُشغّل جهاز استقبالك ومُترجمك الداخلي لتدخل على الخط، وتعرف علّة الشيء وغايته وهدفه، وتُصدِّر الاستجابة المناسبة.

والمخ الذي لا يهمه استخدام كل خبراته طول الوقت، يمارس هوايته في "التباديل" و"التوافيق"، فيرحِّل الأشياء التي لستَ في حاجة ماسة إليها الآن إلى الوراء قليلا، ويصدِّر ما لا تستغني عنه، إلى أن يأتي موقفٌ تحتاج فيه شيئا من مخزونك الاستراتيجي، فإذا به يُسلّط عليه الضوء ويدفعه للأمام.

أي إننا -بشكل أو بآخر- نعرف تمامًا ما نسير إليه، وما نحن مُقبلون على مواجهته: النهايات والخسارات والتجارب الفاشلة ووجع القلب والبكاء حد الذبح والسقوط في عمق ثقب أسود من التضحية بلا مقابل والبذل بلا نتيجة!

لكننا ندَّعي عكس ذلك على طول الخط، ونحثّ الخُطى -بيقين مرعب- نحو الهاوية والطرق التي ليست لنا ولا تعرف حتى مقاسات أقدامنا!

وما التذمّر والـ"ليه يا رب؟!" و"أصلي ما كنتش عامل حسابي"، إلا حجّة من فَسد جهاز استقباله، أو عجز مترجمه عن فهم المراد، أو الكسول والمتواكل وغير ذي اللماحية والراغب في استخراج كارنيه عضوية في جمعية "تنابلة السلطان"!

t.me/qurssan

حجّة من يريد أن يُقيمَ في الآن -بحلوه ومرّه- ولا يسعى لفتح ... احات أكبر من البراح أمام قلبه وعقله وحياته كلها، أو من لا يظن ا ه يستحق أفضل مما هو فيه!

حجّة من رضي بالفتات، وقصرت همته عن بلوغ ما يليق به ا ه بشريًا كرّمه ربُه وأسجد له ملائكته، وهي الدّنيّة بعينها!

أما من يملكون القدرة على ترجمة النُذر والعلامات، فأولئك هم المفلحون.

هم أصحاب الذخائر الحيّة والجَعْبة التي لا تفرغ من السهام.

هم المقيمون على سطح الوقائع، والعارفون حلوّها ومرها بيقين ا ا ابدة ورهافة الحلول وفجيعة الكشف ومغبّة الاقتراب أكثر من اللازم.

فهل يستوي الذين يعرفون والذين لا يعرفون؟

لا يستوون.

فالضريبة التي يدفعها العارفون أكبر، إذ لا يعني سَبقُ العلم أو حُسنُ التوقع عدمَ وقوعهم بين براثن الحزن أو سحلهم تحت سنابك الألم، فهم يحترقون أيضًا لكن وعيونهم مفتوحة، يسقطون في القيعان المظلمة والأغوار البعيدة لكن وهم يعلمون ما هم مقبلون عليه، ينزفون دمًا وفقدًا لكن وهم قادرون على رؤية الجرح تحت الجلد وفي مجاهل الروح وتحديد حجمه ومساحته!

فالمعرفة تنزع الجهل لكنها لا ترفع القَدَر، ترسم معالم الطريق لكن لا تغيّره.

العارفون: صليبُ الجاهلين ودمُ الغفران في كؤوس خيلائهم ومِلحُ الأرض وحطبُ النارِ الموقدة وزَبدُ البحر الذي لا يذهب جُفاءً أبدًا.

سلامٌ عليكم ووردة.

t.me/qurssan

t.me/qurssan

أن نتوقف قليلاً

أكّـدتُ لهـا أننـا فقدنـا قدرتنـا عـلى الاسـتمتاع بالحيـاة يـوم فقدنـا قدرتنـا عـلى وضـع أهـداف طويلـة المـدى لوجودنـا.

فـالأكل والملابـس والنـوم والشـغل والفُسـح والعلاقـات، مهمّـة جـدا، لكنهـا تبقـى أهدافـا قصـيرة المـدى، تنتهـي وتنفـد عندمـا نحققهـا، ثـم تعـود لتتجـدد مـرة أخـرى بأشـكال مختلفـة وصيـغ مغايـرة. لكـن مـاذا بعـد؟

بمعنـى آخـر: نحـن نـأكل ونلبـس وننـام ونعمـل ونخـرج، كي نصـل إلى مـاذا في النهايـة؟

ما المنطقة التي نريد أن نصبح فيها؟

مـا النقطـة التـي سـنتوقف لديهـا ونقـول إننـا أنجزنـا وحققنـا، ثـم للتقـط أنفاسـنا كي نبـدأ رحلـة البحـث عـن نقطـة تحقـق أخـرى؟

t.me/qurssan

لا شيء!

حتى عندما تتحدث إلى أحد تجده مُفرّغا تمامًا من أي قيمة، معطل القدرات والملكات، وأسير احتياجات بيولوجية بحتة دون أي مساحات أخرى للفعل!

ولهذا، فمهما أكل لا يشبع.

ومهما حقق، لا يكتفي ولا يشعر بنشوة الانتصار!

ومهما تتوافر له أسباب السعادة، لا يشعر بالسعادة!

فهو يَحرق بنزينا كثيرا ويجري بأقصى سرعة ممكنة ويبذل مجهودا خرافيا.. من أجل قطع مترين فقط لا غير!

لذا من الطبيعي أن يشعر بالإنهاك والملل والفراغ!

وطبيعي أن يكون بعضنا نسخا مكررة من بعض!

هل تذكر أيام الثانوية العامة، عندما كان هدفنا دخول كلية من كليات القمة؟

هل تذكر الاحتشاد والشحن والمكابدة والصراع طول الوقت بين الالتزام والضغط على أنفسنا لنحقق حلمنا، أو الخروج للعب الكرة و"البلاي ستيشن" و"الصرمحة"؟

ومع أن الأمور لم تكن كما حسبنا في النهاية، فإن هذه الحالة من الفعل من أجل النوال، والتحكم في رغباتنا سعيا وراء تحقيق شيء بعينه، ومعرفة ما نريده بالفعل.

هذه الحالة من الترقب والكفاح وتخطّي الإحباطات كي نتمّ شيئا حقيقيا يمسنا ويمس غيرنا، نشعر جميعا بقيمتها..

t.me/qurssan

هذا ما نفتقده اليوم!

لقد أصبحنا نلف في دوائر مفرغة، ومع أننا نحن من صنعها فإننا غير قادرين على إطلاق سراحنا منها، لذا نضحك على أنفسنا ونقول إننا ندرك جيدا ما نفعله، ومن أين أتينا وإلى أين نذهب ونصم آذاننا ونعمي عيوننا عن رؤية الحقيقة الجلية: أننا تائهون ونبحث عن "قشّة" ومبرر -ولو واهيًا- لاستمرار الحياة، لكننا نخشى أن نعترف بذلك!

وحتى في قرارتنا الكبرى، نتحرك بعشوائية وكيفما اتفق، دون خطة أو هدف أو منطق، نبحث عن سند في الطريق الخاطئ، فنأخذ على رؤوسنا، نحب فنكتشف أنه من طرف واحد، أو من طرفين لكن لكل طرف رؤيته المخالفة للآخر، أو كلانا يملك الرؤية نفسها لكننا اخترنا أسوأ وقت للارتباط، فنأخذ على رؤوسنا للمرة الثانية، وحتى في رهاناتنا على الأصدقاء، لا نكون موفقين تماما، لأننا لا نعرف أنفسنا حتى نعرف ما يوائمها، وتبقى هناك دائمًا حلقة مفقودة، أو قطعة ناقصة في البازل، ما يفضي غالبا لأخذنا على رؤوسنا للمرة الثالثة!

ثم نصل للعتبة التالية في الضياع الإنساني: عبادة المال، إذ نكتشف قدرته على جلب ما حلمنا به، ولو جسدا دون روح، فنتوحد به، ونقنع أنفسنا أنه الغاية الكبرى!

ويجري العمر، وتتقلص الفرص، وتنفد الطاقة، ونحن على طريق بلا آخر، وفي جُب بلا سيّارة، لا ندري عن مستقبلنا أكثر من أنه أضغاث أحلام، أو في أفضل الأحوال: زجاج معتم لا نجيد رؤية ما خلفه ولو جهدنا!

والحل؟

t.me/qurssan

أن نتوقف قليلا.

"نركن" على جانب الطريق، ونُغلق المُحرك الهادر، ونراجع طريقة تشغيلنا، وتوصيلاتنا العصبية والنفسية والجسمية، ونفتش عن الأعطال ونصلحها، ونُعيد تذكير أنفسنا بالغاية من صنعنا، والطريقة الأمثل لاستخدمنا.

نُقر بالضرُّر والتشوُّه الذي وقع لنا دون خجل، ونغيِّر الأسلاك التالفة، ونغلق الثغرات والقُرَح ونحسِّن ظروف التشغيل، ونفتح الخريطة لنرى أين أصبحنا منها، ثم نصدق أحلامنا -ولو مرّة- ونسعى لنفعل ما نحبه بالفعل، لا الذي أُكرهنا على مواقعته طوال العمر، ونقرر ألا نحاسب على مشروبات غيرنا، وألا ننفق حياتنا "بقشيشا" على حيوات الآخرين.

وإلا...

t.me/qurssan

في الطريق

الاختيار كان اختيارك
قبل أن تصبح الخسارة
خسارتي!
كنتُ دائمًا هناك
في نسيانك
إلى أن نسيتني!

لانج لييف – ترجمة ضي رحمي

t.me/qurssan

t.me/qurssan

الضحى والليل

انطلق صوت مولانا بـ"والضحى والليل"، بهدوء في البداية، ثم بقوة، ثم بتدفق لا متناهٍ، وهو ينشئ المعاني إنشاء، ويمنحها سلطة الوجود ككائنات حية، خرجتْ لتوها من جوف كل منا، لتعيش حرّة في كنفه، وتحييه معها، أو تميته، وبدا كمن انفصل وانفصلنا عن السجادة والمسجد والشارع والتاريخ، ثم راح يُرسي دستور كل شيء من البداية، ويفتح لنا طاقة نور على خزائن رحمة ربه، مكررًا الآيات ما استطاع إلى ذلك سبيلا، والمصلون من خلفه مأخوذون لروعة ما يُتلى عليهم، بعضهم يتمايل نشوة، وبعضهم يسحّ بالدموع، وبعضهم يرتجف لوعة وشوقا.

وفي اللحظة نفسها التي هدر مولانا (ولسوف يعطيك ربك فترضى)، وكرّرها حتى أوشكنا أن نفتح أيادينا انتظارًا للعطاء، اقتَحَمَنا صوتُ الستّ، من شيش شباك الجامع الموارب، محمولًا على رائحة شاي ثقيل بالنعناع وخبطات قشاط طاولة يبدو صاحبها مأزومًا ويلعب بكل قوته

t.me/qurssan

على المشاريب، وتمتمات غامضة لتسابيح وذكر وفناء في الذات العليّة، وهي تشدو بكامل لوعتها وحيرة قلبها: يا حبيبي كل شيء بقضاء، ما بأيدينا خلقنا تعساء.

جلجل صوت مولانا: (ألم يجدك يتيما فآوي)، وهدرت الست: ربما تجمعنا أقدارنا ذات يوم بعدما عزَّ اللقاء، وقال مولانا: (ووجدك ضالا فهدى)، وقالت الست: فإذا أنكر خلٌّ خلّه، وتلاقينا لقاء الغرباء، وقال مولانا: (ووجدك عائلا فأغنى)، وتابعت الست بحرقة، وهي -فيما يبدو- تجود بآخر أنفاس الحب: ومضى كل إلى غايته، لا تقل شئنا، فإن الحظ شاء، إن الحظ شاء. فيما رق صوت مولانا فجأة، وهدأت سريرته -وغاب صوت الست، في العدم الذي جاء منه، كأن أحدهم أغلق الراديو للأبد، أو ذكّرها أنها ميتة منذ دهر- وهو يوصينا ويوصي نفسه بيقين وسكينة: فأما اليتيم فلا تقهر، وأما السائل فلا تنهر، وأما بنعمة ربك فحدث.

الله أكبر.

انتظار

اشتدَّتْ الريح فجأة كأن تحرّرت من قمقم، وبأكفّها الثقيلة راحت تخبط كل شيء، حتى سقطتْ الورقةُ الأخيرة في الفرع الأخضر القصير الواقف وحده على استحياء، وتاهت في مسارات دوّامية متعرجة، خرجتْ بها عن مجال الإبصار.

العود الفارغ تمامًا، بدا أطول فجأة، لكن بلا فاعلية، للحظة.. ثمة مقاومة خفية تسرّبت إليه وهو يتمايل يمينًا ويسارًا مع الهواء، لكن

t.me/qurssan

سرعان ما خمدتْ، إذ أدرك أنه أصبح وحيدًا حدَّ الذبح، فارتخى حتى انقصف عمره ولحق بورقته.

صفّرت الريح وراحت تتشكّل في دوامات متقاطعة وعنيفة، تكنس الأرض من كل ما هو حيّ، حتى اطمأن قلبُها للخراب، فهدأت} رويدًا، وسحبت ذرّاتها إلى مكامنها الغائرة في جسد الطبيعة، تاركة الهدوء ينبلج على مهل، كأن شيئا لم يكن.

في اللحظة التالية، ظهرت بذرة صغيرة من لا مكان، غرست أظافرها الواهنة في جسد الأرض، وأقعت فاتحةً فاها، في انتظار أوّل قطرة مطر لتسرب من خيمة السماء.

شبِعتُ!

قبل الإفطار بنصف ساعة، على المقهى جواري جلستْ بنت حلوة.

كل دقيقة تقريبًا تتحدّث في التليفون، عصبيةٌ وعَجولٌ ولهجتها بين الخافتة والحادة، ترى الحركة الدؤوب في الشارع ولا تراها، زينة رمضان التي بدأت تضيء واحدة تلو الأخرى، صوت الست الذي يرتفع من مكان خفي بتشويش استاتيكي محبب. تنادي بائع التمر هندي وتشتري زجاجتين صغيرتين، ثم تُجري اتصالًا آخر. كلما أدرتُ عيني بعيدا عنها جذبني صوتها:

- لسه؟ وحشتني!

قبل الإفطار بدقيقة، هلّ رجلُها، فتهللتْ وعادتْ للحياة، وقفتْ وشبّت على قدميها ومنحته سلامًا كالحضن، وعيناه تطمئنانها أن كل شيء على ما يرام، وجلسا معًا ينتظران الأذان.

t.me/qurssan

الله أكبر الله أكبر.. ويدها تمتد بلقمة طيّبة إلى فمه قبل أن تكسر صيامها، وهو يبتسم في رضا كمن أدرك ليلة القدر!

شَبِعتُ.

لِمُوشِك على المغادرة!

دَفَع البابَ ودَخل دون استئذانٍ.

أخبرني أن اللحظة قد حانتْ، ولا بدّ أن أكون قد توصّلت لقرار، فـ"هو لا يحب اللجاجة والحبال الطويلة، ومع أنه لا يقبل "لا" كإجابة نهائية، فما يزال بإمكاني أن أختارها، شريطة أن أكون قد رتّبت ورقي جيّدا، وتجهّزت لسدّ الثغرات جميعها، فهي مساحة اختيار نهائية لا تقبل المساومة". طلبتُ منه سيجارة، وفركتها جيدًا قبل أن أشعلها، مثلما علّمني صديقي "محمد محيي" على مقهى عابدين، ثم قلتُ له وأنا أنفث دخانها في وجهه:

- لماذا يعطي الأمر كل هذه الأهمية؟

قال إنه يفعل ذلك من أجلي، فهو يريد أن يعلّمني درس العمر، ضحكت حتى "شَرِقت" وقلت له:

- ألم تكفِ كل الدروس التي تلقيتها؟ ثم ما قيمة درسٍ جديد لمُوشِك على المغادرة؟

همس، وهو يختلس النظر للباب:

- هذا أهم درس، وقليلون من يحظون بالفرصة لتلقيه.

هززتُ كتفي باستخفاف، ورفعتُ من طبقة صوتي وأنا أقول له:

t.me/qurssan

- حسنا، الإجابة هي لا. كبيرة ونهائية وسوداء ومُطلقة وعنكبوتية ،طول الأرض والسماء والحلم.

تراجع للوراء، لم يستطع إخفاء دهشته، لملم نفسه وبدأ يلوذ بالخروج. قبل أن يغيب تمامًا، التفت بتردد، قال بصوت ضعيف:

- ألا يمكن أن...

قاطعته:

- لا تستحق.

وفيما أفرم مزيدًا من الأوراق، اختلط صوتُ صافرة قطار برنين ،وبابل بسقوط جنيه فضي على سيراميك بارز بتحطّم كأسٍ بصراخٍ ،لطفلٍ بنعيقِ غرابٍ يعبر هذه المنطقة البائسة من العالم مصادفة ،رائحة عطرها اللاذعة بتوبيخها وهي تترك يدي في عنف وتقول بحرقة، فيما تنهمر دموعها التي لن أتذوّقها ثانية لآخر العمر، إنها ليست أمي لتؤمن بنبوّتي وتتبع ديني الجديد!

الست

يخطفني صوت الست فجأة بـ(عوّدت عيني على رؤياك)، فأتلفّتُ حولي في بهو الفندق الواسع، حتى أستقر على الجهة التي يأتي منها. أتقدم نحوه بلا إرادة بينما أخال زهرًا وفستقًا وماءَ وردٍ ينتثر من حولي في كلّ خطوة!

أخرجُ إلى "التراس" خافت الإضاءة و(قلبي سلّم لك أمره).

t.me/qurssan

تواصل سحبي وتوريطي للنخاع حتى أقف أمام مصدر الصوت هيابًا وجلًا، مع نسمة هواء عزيزة اختارت هذه اللحظة بالذات لتربّت وجهي على بُعد آلاف الكيلو مترات ممن أحب، فتدمع عيناي!

(قربك نعيم الروح والعين ونظرتك سحر وإلهام).. والله يفتح في قلبي طاقة نور (وبسمتك فرحة قلبين عايشين على الأمل البسّام).. أصبح أطول وأقوى وأكثر رهافة (وإن غبت يوم عني أفضل أنا وظني يقربك مني ويبعدك عني)..

أغلق عيني وأزفر من الأعماق مادًا يدي خلسة لأقبض على البهجة الخام وأخبّئها في شراييني جمرًا يُدفئ قلبي في ليالي الوحدة العارمة.

القِربَة!

رأيتُني قابضًا على قِربَة سَقّاء، أدورُ بها بين عبيدِه، فأسقي من يطلبها باسمٍ من أسمائه الحسنى، وأنأى بجنبي عمن يُشخلل بدنانيره، فإذا بصبيّة تعترضني، كأنها البدرُ ليلةَ تمامه، تبتسم فيذهَل عقلي، وتهمس بصوتٍ كأنّه إرادة مستقلة، أن اتبعني، فأراوح بين القِربة وأمرها، وبين عبيد الله ووجهها، وإذ أقرّرُ الرضوخَ للجمالِ مسلوبًا، وأرفعُ الرأس لأشبَع من نورها، تختفي فجأةً من أمامي، ويتحلّق حولي البهاليلُ يطلبون مائي، فلا ينزل من القِربة بعدُ سوى الدموع!

t.me/qurssan

فنجان

فنجان القهوة الذي شربته في "سلانترو"، كان ملهوفًا ويشعر بالإثارة ويدي تمتدّ لتحتضنه وتُخفيه داخلها، كلّما رفعته ناحية فمي يبتهج، وعندما أُبعده قليلًا، يضيق صدرُه، ويريد البكاءَ عندما أضعه على المنضدة!

عندما أتأخّر قليلًا عليه، وأنشغل بالكلام، يحاول تذكيري بنفسه بأيّ طريقةٍ، ويحمل همَّ أن ينتهي، ويرجع للبردِ والوحدةِ على الرفّ البعيدِ، ينتظر أحدًا سواي يحتاج إلى خدماته، ومن يدري، ربما يحدث هذا بعد ساعة أو اثنتين، يوم أو يومين، فهل يتحمّل؟

أحيانًا يفكّر في أن يرحم نفسَه من هذا القلق، وعلقم الانتظار اليوميّ، ويرمي نفسه من عَلٍ، ليتكسّر على الأرض، وهو مليء بالمشروب المفضّل لأحدهم، وهو في قمة عطائه وعنفوانه، بدل أن يظلّ تحت رحمة الظروف، لكن يتذكّر الأيدي الدافئة التي تحضنه، والأصابع التي تلامس وجنته، وأحيانًا تنقر عليه بلحن يحبّه، والشفاه التي تُقبّله، وأحيانًا تطبع عليه بأحمرها، فيتنهد، ويشدّ نفسه، ويقرّر إكمال مهمته في الحياة، ويترك كلمة النهاية لسواه كي يضعها!

t.me/qurssan

مقعد

المقعد الشاغر لا يزال يحتفظ بدفء آخر مَنْ جلس عليه ورحل قبل أن يشبع منه!

ظنًا منه أنه -ككل الكراسي- لا يشعر، نهض دون أن يودّعه، أو يعشّمه بلقاءٍ قريبٍ، ولم يدر أن عشرات المحبّين الذين شاركوه لحظاتهم الخاصة جِّدا عبر سنوات طوال، قد أيقظوا روحه الخشبية/ البشرية، وجعلوه مثلهم: يحب ويتوق ويقارب وينتظر ويشغف ويبكي ليلًا، عندما تُطبق عليه الظلمة بذراعيها دون وليف!

محفوظ

قلتُ لنجيب محفوظ، وأنا أتسلّم منه ليَّ الشيشة، وأشدّ نفسًا عميقًا:

- إن الأمور، حتى في نسبيتها، نسبية.

هزّ رأسه بتفهم، ورشف رشفة من كوب الشاي بالنعناع الموضوع أمامه، قبل أن يجوِّل بعينيه في "الفيشاوي" المزدحم رغم تأخّر الوقت، ويؤمّن على كلامي، ثم يضيف:

- والمرعب ألا يدرك الآخرون هذا، انظر للجدية المُفرطة التي يتعاطون بها الأشياء!

صفّقت بيدي مناديًا الصبي الصغير كي يُغيّر الحَجَر، وأنا أُهمهم:

- مساكين، يبحثون عن أي يقين، يرون الفجوة المظلمة تتسع كل يوم تحت أقدامهم، فيهرعون لما يظنونه ثوابت.

t.me/qurssan

سعل بقوة، قبل أن يقول:

- بعد فترة سيتعلّمون الدرس، لكن بالطريقة الصعبة، سترى كيف بتأرجحون ويصعدون ويهبطون، قبل أن يكفّوا في النهاية عن الفعل ورد الفعل معًا.

هززتُ رأسي موافقًا، واستأذنته في المغادرة، كي لا أتأخّر عن موعدي مع توفيق الحكيم والعقاد، فأسمع ما لا يرضيني، العقاد أصبح عصبيًا مؤخرًا، خاصة مع قولونه العصبي الذي لم يعد يمنحه لحظة راحة. والحكيم يسايره كي لا يُغضبه!

أمسك محفوظ بكتفي، والتمعت عيناه كمن يتلقى وحيًا وهو يقول:

- "تذكر دائمًا أن المصائب عندما تتكاثر، يمحو بعضُها بعضًا، وتحلّ لك سعادة جنونية غريبة المذاق، وتستطيع أن تضحك من قلب لم يعد يعرف الخوف".

دون مزيد من الانتظار!

أفرُّ من الوجوه التي تعرفني، أضع هاتفي في وضع الطيران وأتنفّس الليلَ في رئتيّ بجشع، أستكين تحت جناح مقهى ناءٍ مهجور، وأتأمل أمنًا الوجوه التي لا يعنيها وجودي.

يرمقني المعلّم العجوز بنظرة ثاقبة ويأخذ نفسًا عميقًا من نارجيلته قبل أن يغادر مكانه المختار خلف (البنك) ويجلس إلى مائدتي.

t.me/qurssan

أتجهَّم في وجهه وأتظاهر بالانشغال بالتليفون فيحاصرني بابتسامة طيبة، أتنهّد وصوت عبد الوهاب يتدفق من الراديو: (لأ مش أنا اللي أبكي ولا أنا اللي أشكي لو جار عليا هواك).

يمد يده نحوي بسيجارة، أتناولها لا مباليًا، أفشل في إشعالها، فيضحك بمرح حتى يشخلل صدره ويهتز كرشه ويصرّ على إشعالها لي

عبد الوهاب لا يدّخر جهدًا في جَلْدِي: (وكفاية قلبي انشغل.. على قلب خان الأمل).

قرقرة الشيشة وصوت غليان برّاد الشاي وخبطات قشاط الدومينو، والضحكات المكتومة والسعال البعيد ولفحة الهواء الباردة التي تُغلّف كل شيء كالسلوفان وسخونة فنجان القهوة السادة.

أتنهد، فيقول لي بتؤدة:

- كل حاجة بترجع تاني بعد ما بنفتكرها راحت للأبد، بس في صورة مختلفة .

أحدّق فيه بشرود، فيلوّح بيده كأنما يدافع عن عقيدةِ مؤمنٍ:
- المشكلة مش في صعوبة الحياة، لكن في إنها كان ممكن تبقى أجمل من كده لو حاجات بسيطة اتحققت!

يصرخ عبد الوهاب: (لكن اللي بيحبك، ملوش تمن عندك، والغالي يرخص ليه؟!).

أشعر بثقل مباغت في يدي ونغزة في صدري تتكون تدريجيًا، أغمغم بفصحى راقية لأبدو عميقًا وعالمًا ببواطن الأمور:

- لا شيء يبدو مصيريًا كما يبدو أبدًا!

t.me/qurssan

يبتسم ويشير بيده لصبيّه فيرفع صوت الراديو وعبد الوهاب يقود سكّينَه ببراعة إلى قلبي: (أنا راح زماني هَدَر، ولا كانش عندك خبر!)

آخذُ نفسًا عميقًا من السيجارة فتنتعش شعلتها وتضيء كشمس صغيرة بين أصابعي فيما تنفصل (هَدَر) وحدها عن الأغنية وتتردد بلا نهاية بتصاعد درامي بدا مقصودًا ومنطقيًا في الوقت الذي راح فيه الضوء يتذبذب حتى ليكاد يختفي تمامًا!

فجأة يلتفّ حولي جميع الراحلين في حياتي، الذين آووا والذين خذلوا، الذين زرعوا وردة والذين أخذوا قضمة كبيرة من قلبي حتى لم يبق لي منه ما يسد رمقي!

أقول لهم مدافعًا:

- كل شيء يمر..

فيردّون في صوت واحد كالكُورَس:

- لكن بأي ثمن؟!

أهمّ بقول شيء ما بليغ وشديد الحكمة لتردّده الأجيال المقبلة، لكني أصمت، فيرمقونني بأسى وخيبة أمل ثم يتسرّبون واحدًا إثر الآخر، دون أن يهتموا بإخباري لماذا جاؤوا أو لماذا رحلوا!

يزأر عبد الوهاب بآخر ما يملك من قوة: (ما قدرش يعرفني.. ما قدرش يفهمني.. وعشان إيه ما عرفش.. ده ذنبه مش ذنبي).

ينهض المعلم دون مزيد من الانتظار، وكذلك زبائنه -كأنّما باتفاق مسبق- ويشير إليّ الجميع بتحية مقتضبة وفاترة ومتكلفة، يختفون بعيدًا بينما أرمق -وحيدًا وَجِلًا- الراديو الذي يضيء مؤشره بخفوت

t.me/qurssan

وخبث الآن واضعًا يدي على قلبي في انتظار طعنة عبد الوهاب القادمة التي أحسبها ستكون قاصمة ونهائية هذه المرة!

العملاق!

رغم امتلاء الميكروباص المهكّع، بممثلين عن جميع أطياف الشعب المصري، عمال وموظفين وفلاحين ومحرّري ديسك وطلبة وربّات بيوت، حدّ التخمة، ولدرجة أنه يوشك أن يتقيّأنا جميعا، توقّف السائق أبو كفّ رقيق وصغيّر، كي يسمح لبياع التمر هندي بالركوب، فـ"الدنيا حرّ وإحنا أهالي في بعضينا يا إخوانا"، حسب قوله.

وصعد الرجل بعدّته التقليدية، والزهور البلاستيكية فاقعة اللون التي تزيّنها، وبطريقة سحرية ما، جلس على الشبر ونص خلف السائق، وتعبيرًا عن امتنانه، وجد ليده متّسعًا كي تمتد، ولجذعه حيزًا كي ينحني للأمام بمرونة، فيُفرغ كوبَ تمر مثلجًا للسائق، تناوَلَهُ وهو يُكركر برضا:

- يدوم يا معلّم.

وفجأة نسي الجميع ثرثراتهم ومحطّاتهم وخناقاتهم الصغيرة التي كانت تتأجّج على نار هادئة منذ قليل، وأحسّوا -كأنما باتفاق مسبق!- بالعطش، فانهالت الطلبات عليه في مشهد سريالي باقتدار:

- اتنين هنا والنّبي يا معلم.

- واحد في كيس لو سمحت.

- عندك سوبيا؟

t.me/qurssan

- فيه شفّاطة؟

وتعملق الرجل فجأة، وأصبح بألف يدٍ، وألف أُذنٍ، وألف لسانٍ، فراح، في المساحة المعدومة تقريبًا، والمستحيلة فيزيائيًا، يغسل الأكواب، ويُلقي الماء من الشباك، ويقدّم لهذا طلبه، ويأخذ من ذاك الحساب، ويعطي الباقي لتلك، ويداعب هؤلاء، وينادي على بضاعته بصوته المميّز وكأنه في محل 100 متر في 200!

وانقلب الميكروباص -بقدرة قادر- إلى جنّة أرضية، لا حرّ فيها ولا فتور، حيث يضحك الجميع، ويُنكّتون، ويذكّرون بعضهم بالأيام الحلوة، ويشربون التمر هندي باستمتاع، كأن لم يروه في حياتهم من قبل!

t.me/qurssan

t.me/qurssan

بالعقل

"في أحد الأيام
على شاطئ البحر
رأيت سمكةً تُفلت من المنقار الضاري
لطيور النورس
-فقط-
لأنها رفضت أن تستسلم
حتى وهي بين فكي الموت
تساءلتُ
لو أنّي سأتعلم يومًا
أن أكون في شجاعة سمكة!

نيكيتا جيل – ترجمة ضي رحمي

t.me/qurssan

t.me/qurssan

هل يُقيم لنا الله حفلَ شواءٍ جماعي في الآخرة؟

لـو أراد الله ألا تحـوي الأرضُ سـوى مَـن يُطيعـه ويأنـف مـن عصيانـه، لأهبـطَ ملائكتـه إليهـا، وانتهـت القصـة بتمجيـد الـربُ في الأعـالي عـلى وقـع موسـيقى كونيـة هائلـة، ورفرفـةِ ملايـين الأجنحـة في المسـافة بـين الأراضـين السـبع والسـموات السـبع.

أمـا وقـد منحنـا فرصـةَ الخلافـة، وهـو يعلـم ضعفنـا -لأنـه صانعنـا- فهـذا يعنـي أنـه يتقبَّـل أخطاءَنـا، وجنوحَنـا، وسـقوطَنا في الوحـل، وانهيارَنـا في الخطيئـة، وتوتّرنـا أمـام الخيـارات المتشـعبة، ومخالفـة رضـاه -لا مشـيئته- طـوال الوقـت.

إنـه يريدنـا أن نتعلَّـم بالمحاولـة والخطـأ، ونرتقـي بالمحنـة والمنحـة، ونفهـم بالمعاينـة والمكابـدة، ولا يبحـث عـن نهايـات سريعـة ولا خلاصـات جاهـزة، لـذا يمـدّ الأجـلَ، ويُرسـل النُـذر تلـو النُـذر، ويقبـل التوبـة، ويُسـبغ السـتر، حتـى اللحظـة التـي تغلـب فيهـا طبيعتُنـا علينـا، ونتوقـف عنـد

t.me/qurssan

المحطة التي تلائم جبّلتنا أكثر من غيرها، فنُقبَض عليها، سواء كنت المعصية أو الطاعة.

ولا يوجد كتالوج مُوحَّد لنوال رضا الرب، لا توجد إجابات نموذجية، ولا حلول جامعة مانعة، كلها اجتهادات بشرية قد تصيب وقد تخطئ، وما الأديان -في إطلاقها- إلا خطوط عامة وعريضة لما يمكن أن نسلكه ونسير على هديه، مع ترك مساحات للارتجال ووضع "التاتش" الخاص بنا، إعلاء للفردانية والاختلاف والتمايز بين البشر، وحثًّا على التنافس وبذل الجهد لحيازة مراتب أعلى (وإلا لما كانت الجنة درجات).

ولا ينظر الله إلى الخطيّة، كنظرتنا، ولا يحكم على مُرتكبها كما نحكم، فهو وإن أفردَ الحديث عن صنوف العقاب مقابل كل مخالفة، فقد وضع استثناءات وطُرقًا خلفية وكفّارات لنوال التوبة ودخول الحضرة وبدء كل شيء من جديد، كأنه لا يريد أن يُطبِّق العقوبة، ولا يريد أن يكون القاهر فوق عباده، إلا عندما يرون هم أنفسهم أنهم يستحقون ذلك، وإلا لما أخطأوا كل هذه الوسائل للإفلات من الجزاء!

وسَبْقُ المعرفة الإلهية بمصائرنا، وتنبُئِها بمآلنا ليس إجبارًا لنا على المُضي في طريق بعينه.

فأنت نفسك تمارس فعل التنبّؤ عشرات المرات في يومك. ترى سيارة مسرعة وقد فقد قائدها القدرة على التحكم فيها، فتتنبأ أنها ستصطدم بغيرها، ويحدث هذا فعلًا!

لكنك لم تجبره على الاصطدام.

ترى إهمال ابنك في المذاكرة، وتفننه في تضييع الوقت، فتتنبأ أنه سيرسب، ويحدث هذا فعلًا!

t.me/qurssan

لكنك لم تجبره على الرسوب.

ترى زوجين مختلفين ليل نهار، ولا يوجد نقاط التقاء بينهما من أي نوع، فتتنبأ أن ينفصلا، وينفصلان فعلًا!

لكنك لم تجبرهما على الطلاق.

إنها قراءة موضوعية للعلامات، تجيدُها وأنت بشريّ محدود القدرة، فما بالك بالصانع كُلّي القدرة؟!

فسَبْقُ العلم بالحدث قبل وقوعه، لا يعني الإجبار عليه، أو الدفع إليه، إنما يعني القدرة على الرؤية أبعد وأفضل وأصوب.

ولا يمكن أن يكون الغرض النهائي من مهرجان خلق السماء والأرض والكواكب والبشر والرسل والرسالات والطيور والحيوانات والملائكة والشياطين، أن يُقيم لنا الله في النهاية حفل شواء جماعي!

لا يمكن أن تكون كل هذه النِعَم قد خُلِقت من أجل إغرائنا وفتنتنا فتكون مصيدتنا لدخول النار!

الأمر أكثر تعقيدًا من كل هذا.

والغرض الأساسي -من وجهة نظري- أن ترى وتكتشف وتعرف إلى أي درجة تتجلى فيك صفات خالقك.

فكما تريد أن ترى ابنك مثلك، يريد اللهُ أن يرى خليفته مثله، أو أقرب ما يكون إليه، لذا نفخ فيه من روحه.

فإن مِلت، وزِغت، وشُغلت بالظاهر عن الباطن، والجزئي عن الكلي، والعابر عن الأبدي، سلّط عليك الدنيا، وابتلاك بالمحن والمصائب، حتى تنتبه، وتثوب إلى رشدك، وترجع إلى حلبة السباق الحقيقية.

t.me/qurssan

فعذابك آخر ما يريد، وإدخالك النار آخر حلقة في سلم طويل من الخيارات.

وإن أضاء قلبك وعقلك وفهمتَ ما لك وما عليك، أمِنت الزلل، ووقيتَ الخلل، وامتلأت حياتك بالوسائل المساعدة على الوصول، وطريقك بالعلامات الدالة على الاتجاه الصحيح.

حتى إذا نزل الستار وحقَّ عليك العذاب، أو وجبتْ لك الجنة، لم يكن الأمر مفاجئًا لك، فأنت تدرك طوال الوقت ما تفعله وتقترفه، ولديك تصوّر -بشكل أو بآخر- عن عاقبته وما سيقودك إليه.

ولا مصادفة في أي شيء، لا في الخير ولا في الشر، لا المحنة ولا في المنحة، لا في الوصول ولا في الضلال، لا في المنح ولا في المنع، لا في الذين تقابلهم ولا في الذين تفارقهم، كل شيء محسوب بدقة، ومخطّط له بعناية، من أجل أن تتبين حقيقة نفسك، ومرتبتك، ودرجتك، ومقامك، وترى أين تقف، وما ينبغي لك فعله.

لكن.. ليس كل ما ينبغي لنا فعله.. نفعله، وليس كل ما يجب علينا اتباعه.. نتبعه.

وهذا جوهر المحنة!

فنحن نرى ولا نبصر، نفهم ولا ندرك، ونسير -كالمنوَّمين- نحو مصائر وأقدار وخيارات، نعلم يقينًا أن فيها هلاكنا، وضياع وقتنا ومشاعرنا وحياتنا، ثم لا نزال على إصرارنا حتى نحترق، ثم نكابر فنلوم غيرنا: الله والظروف والدنيا، بدل أن نفهم الرسالة الأهم من كل ما يجري لنا وعلينا وفينا: ألّا دائم إلا وجهه، وكل ما عداه ظلال لا حقائق، فروع لا أصول.

t.me/qurssan

لكـن الضمانـة الوحيـدة وسـط كل هـذا الضبـاب أن الله ليـس بشريًـا ليقـف لـك "عـلى الواحـدة" وينتظـر أن تخطـئ فيخسـف بك الأرض ويرسـل عليـك طـيرًا أبابيـل.

ليـس مديـرًا ينتظـرك ممسـكًا سـاعته عـلى بـاب الشركـة ليخصـم لـك إذا تأخَّـرت.

ليـس موظفًـا في شركـة الكهربـاء يترقـب تعـثُّرك في السـداد، ليقطـع عنـك النـور ويُقيمـك في الظـلام.

ليـس محاسـبًا في بنـك يُغريـك بميـزات القـروض، ثـم ينتهـز أوَّل تقصـير منـك ليخـرب بيتـك.

اللهُ أكـرمُ مـما نتجـرَّأ بـه عليـه، ومـما نُفـرِّط فيـه مـن حقـه، ومـما نُعطـي لأنفسـنا مـن أرْيَحيـة في عصيانـه، ومـما ننافقـه بـه، ومـما نبخـل بـه عليـه، وممـن يسـتغلُّون اسـمه، ومَـن يُنصِّبـون أنفسـهم مكانـه، مـن ضعفنـا وجبننـا واستسـهالنا وبشريَّتنـا ووحلنـا، مـن تخيلاتنـا عنـه، وآمالنـا فيـه، وتصورنـا لـه، مـن تأخّرنـا في الرجـوع، وإسرافنـا في النـوال، وبخلنـا في الوداد.

الله -ببساطة- هو الله.

t.me/qurssan

t.me/qurssan

من الجنس إلى إسجاد الملائكة..
هل حقا نستحق ما وصلنا إليه؟

الجنس -في أحد تجلياته- خوفٌ عارمٌ من الفَقد والوحدة، ورغبة في التعشق في الآخر، وإيجاد سكن ومأوى وامتداد ومساحة حرّة خارج المألوف.

واللذة التي تتحقق من خلاله وردةٌ تنبت وسط صخر ميّت، وصرخةُ حياةٍ في مواجهة ملل مقيت واعتياد حقير يحاوط بالثلج كل أوقاتنا، ومضادٌ حيويٌ لكثيرٍ من الأمراض الإنسانية اللي ابتلتنا بها الحضارةُ وجرّتنا إليها دون أي رغبة من جانبنا!

ولأنها ليست علاقة ميكانيكية بين أعضاء تناسلية لها نقطة بدء وانتهاء تُحددها قوانين الفسيولوجيا وعلم الأحياء، إنما حوارٌ صاخب بين إرادتين لإيجاد "الموجة" المشتركة وسط طوفان من الاختلافات والتباين، للعثور على "بُقّ مية" وسط هجيرٍ لا يرحم، و"ضُلّيلة" في

t.me/qurssan

صحراء قائظة تقتل بالظن وبالنية، تنهار بيوتٌ وحيوات لو اختل لديها هذا الجانب، أو تظل قائمة بشكل "كروكي"، على الورق فقط دون روح ودون جدوى.

لكن لأننا أجبن من الاعتراف بهذا، ومواجهة مشاكلنا بوضوح دون لف أو دوران، فإننا نختبئ وراء أسباب أخرى واهية نصدّرها للمجتمع كي نظل في نظره "مؤدبين" و"ولاد ناس"!

ولا بأس من إضفاء صبغة دينية استشهادية على الموضوع، والتلويح بالعيال ومستقبلهم وعظمتنا النفسية إذ ننحاز لهم على حساب سعادتنا الشخصية! لنظل بعدها 24 ساعة نتحدث عن كل شيء في الدنيا، إلا الشيء الوحيد الذي نتحرّق شوقًا للحديث عنه!

مع أننا لو اشتكينا من ألم الأسنان أو نزلة البرد أو الصداع، نذهب إلى الطبيب، لو أحسسنا بهبوط أو اختل نظام أكلنا ونومنا، نُهرع لطلب المساعدة، لكننا نتعامل مع الجنس بحساسية مُفرطة تقعُد بنا عن إدراك مقاصده وفهم غاياته، كالذي يخاف من الدم وهو يجري في عروقه، والذي يتصور أن الشمس ستختفي بمجرد أن يُغلق عينيه عنها!

إحساس العار والعيب والـ"مايصحش كده" والوصم المجتمعي جعلنا منزوعي الدسم، بلا أيدلوجية ولا خطة طوارئ لمواجهة اختبارات الحياة الصعبة، "عرايس ماريونيت" يحرّكنا كل من مَلَك في يده الخيط دون أن نفكّر مرة في الثورة عليه واسترداد قدرتنا على الحركة الذاتية والفعل.

والكلام عن الجنس ينسحب على كل شيء تقريبًا في حياتنا نرفض مواجهته بشجاعة، ونفضّل الاختباء منه وتسميته بأسماء أقل حدة وتصادمية مع المجتمع، وصولا لازدواجية مرعبة تجعلنا بعد قليل بُوقًا لترديد سيل من العبارات المُؤسية المرعبة في الوقت نفسه:

t.me/qurssan

- عايشين والسلام.

- الحمد لله الذي لا يُحمد على مكروه سواه.

- أهي ماشية.

- هناخد زماننا وزمن غيرنا؟

- ربنا بس يقدرنا ونربي العيلين!

لقد تشيَّأنا -بإرادتنا- وأصبحنا كُتلا إنسانية، تتحرك من مكان إلى مكان بالقصور الذاتي ولرغبة محددة هي الانتهاء من مهمة ما قدرية اقتنعنا أنها هدفنا في الحياة، دون أن يُلزمنا أحدٌ بذلك!

لم نعد كأفراد موجودين بغير الإحالة إلى مسؤولياتنا، وما هو مفروض علينا تأديته، فيما اختفينا ككائنات حرّة فريدة متباينة خلقها الله لغاية أكبر وهدف أسمى، ولم يأمرها بالعمل طوال الوقت، وإنما مدَّ لها على طول الخط مسارات أخرى.

والله -يقينًا- لم يخلقنا لهذا، عندما تحدَّدتْ الخطة الكبرى لنزول الإنسان إلى الأرض، وُضعت في الاعتبار فردانيته، واختلافه عن المخلوقات كافة، وتميّزه بما لم يكن لدى سواه، وهو ما ظهر فيما بعد في مشهد الإسجاد على سبيل المثال.

وحتى عندما رضخ الإنسان للشهوة -بحثًا عن الخلود أو المعرفة أو ...- وأكل التفاحة، مُنح فرصة أخرى، لأن هناك قدرًا أكبر كان في انتظاره، لن يقوم به سواه.

فكيف، بعد كل هذه الخصوصية والإتاحة رضينا بالدَنيّة في حياتنا؟!

كيف أصبحنا مسوخًا تسير على الأرض فاقدة الهمة والغاية والوسيلة لتحقيق كل ما تريد؟!

t.me/qurssan

نتفـرّج عـلى الحيـاة ولا نعيشـها، ونطمـع في ثـواب الآخـرة بعـد أن آيسـنا مـن الدنيـا ومـا فيهـا؟!

أين نحن من "الإنسان" الذي نُصّب خليفة لله الخالق؟

وكيـف انتهَكنـا وانتُهكنـا حتـى وصلنـا إلى هـذه المنطقـة المظلمـة مـن التاريـخ الأرمـد؟

مَن نحن؟

وماذا نريد من حياتنا؟

وهـل مـا وصـل إليـه بعضُنـا (زواج، بيـت، سـيارة، أولاد، وظيفـة...) هـو مـا جئنـا مـن أجلـه؟

هـل الحيـاة رحلـة اسـتثمارية لامتـلاك العقـارات "والعِـزوَة" وفقـط، أم أن هنـاك مسـتوى محجوبًـا منهـا، أخفتـه عنّـا بشريتنـا المُغرقـة في الطـين ودونيتنـا في تـذوق النعمـة؟!

المذابـح التـي ارتكبهـا الإنسـان بـدم بـارد، الحـروب التـي أشـعلها وجلس عـلى قمتهـا، الخذلانـات، النكـوص عـن نـصرة الحـق والانحيـاز للباطـل، الخيـارات الحمقـاء، التخـلي.. سـجّل الأعـمال الكاملـة التـي سـنقابل بهـا الخالـق، دون أن تكـون لدينـا إجابـات مقنعـة لأي شيء، ودون أن تكـون لدينـا فرصـة حقيقيـة لتعويـض أحـد.. هـل هـذه هـي الكلمـة الأخـيرة؟!

هل هذا هو المنتج النهائي الذي سنقدمه بين يديه جل شأنه؟

هل هذه هي النهاية التي تليق ببدايتنا؟

هل هذا هو الإنسان؟!

t.me/qurssan

هلَ فعل الرسولُ شيئًا محرّما؟

(أصبحتُ أرى الله في سيمفونيات بيتهوفن أكثر مما أراه في خطبة الجمعة!)

هذا ما كتبته ذات يوم على صفحتي بفيس بوك، لتنفتح بعدها أبواب الجحيم في وجهي!

فمن قائل إنني هكذا خرجتُ من الملة، ونصحني بالتوبة!

ومن قائل إن الموسيقى من المعازف ولهو الحديث ولا يجب مقارنتها بخطبة الجمعة حتى لو كانت الأخيرة سيئة ولا تُسمن ولا تُغني من جوع!

ومن مُستنكرٍ كيف أجرؤ -من وجهة نظره- على مقارنة الموسيقى بالصلاة!

t.me/qurssan

ومن قائلٍ إنني أتفه من أن يكون لرأيي تأثير ومن ثمَّ فلن يُتع
نفسَه في مناقشتي، بل إن أحدهم تطوّع ليذود عن دين الله بإرس
رسالة على الخاص حافلة بكل ما لذّ وطاب من أقبح الشتائم الت
تمسّ الأم والأب، فهو يرشدني لمكارم الأخلاق بانتهاكها!

وعديد من الردود الباهرة التي اعتمدتْ جميعها مبدأ تسفيه رأيي كي يكون بلا قيمة، والقدح في شخصي كي يبرروا انتقاصي!

ورغم أني لم أكن أنوي الخوض في هذا المستنقع، لأن لكلٍ منّا عقلًا يُغنيه، فلعلّ الأفضل أن أرتّب بعض الفوضى الواقعة ها هنا كي أبرئ ذمّتي، مع الإقرار بأن هذا رأيي الشخصي وهو ليس ملزمًا لك، ويمكنك دائمًا أن تقول عكسه، شريطة أن تناقش الأفكار لا صاحبها، وأن تختار اللغة الملائمة التي لا تجرح ولا تقدح، فالصوت العالي والشتيمة كلاهما دليلٌ على عدم تمكّنك من الجدال وضعف ما في جعبتك.

1. كلامي واضحٌ للغاية -فأنا رجل لغة عربية وأعرف للألفاظ حدودها ومحتواها الدلالي- وفي منشوري لم أتحدّث لا عن صلاة الجمعة ولا سواها من الصلوات، ولا أتيتُ على ذكر الله ولا التسبيح وغيره من طقوس الجمعة، ولم أتعرّض بسوء لكتاب الله ولا عرّضتُ بالدين من قريب أو بعيد، إنما استخدمتُ عبارة مجازية لانتقاد خطباء الجمعة، وهم -بالمناسبة- بشرٌ يصيبون ويخطئون لا أنبياء معصومين، وهو حقي تمامًا أن أنحو باللائمة على خطيب لا يُجيد قواعد النحو والإلقاء، صوته قبيح ووجهه عابس، وأفكاره بالية وقديمة، وقفتُ عند دخول الحمام بالقدم اليسرى وحرمانية تهنئة غير المسلمين بالعيد، خطيب لا يشتبك مع مشاكلي الحياتية ولا يُخبرني ماذا أفعل في ظلّ ما أجد من تشكيك مستمر في ديني، وإقرانه بالإرهاب، خطيبٍ يردد نفس ما يقوله دائمًا

t.me/qurssan

لـ كل خطبـة -منـذ كنـتُ في الابتدائيـة!- دون أي تجديـد أو مراعـاة لتطـور الخطـاب الدينـي أو تعايـش مـع مـا يجـري عـلى السـاحة!

ومـن حقـي كذلـك أن أحلـم باليـوم الـذي أجـد فيـه خطيـب الجمعـة وسعـد المنـبر باشًـا هاشًـا، وفي يـده "آي بـاد"، متّصـل بشاشـة عـرض كبـيرة، فـإذا حدّثنـي عـن الرحلـة التـي قطعَتهـا السـيدة هاجـر بـين الصفـا والمـروة لنجـدة طفلهـا، عـرض عـليّ صـورًا للمـكان، وربمـا فيديـو توضيحيًـا للمنسـك المقـدس، وإذا تكلّـم عـن معجـزة حديـث الله لمـوسى، أراني الـوادي المقـدس طـوى، وأظهـر لي جبـل الطـور حيـث وقعـتْ الواقعـة.

خطيـبٍ يدمـج التكنولوجيـا بالعلـم الشرعـي بأحـدث مـا وصلـت إليـه البشريـة، ليُبقينـي متشـوقًا شـغوفًا، حريصًـا عـلى لقائـه، لا يتـسرّب النـوم إلى رأسي لحظـة واحـدة، وفي نهايـة الخطبـة الدسـمة يتيـح لي إيميلـه لأراسـله بمـا يضيـق بـه صـدري وأحصـل عـلى رأيـه.

خطيـب لا يُنفّـرني مـن الآخـرة ويصـوّر لي الله مترصـدًا خطـأ واحـدًا منـي ليلقينـي في جحيمـه، إنمـا يحدّثنـي بابتسـامة عـن ربٍ غفـورٍ رحيـمٍ عـالمٍ بالحـال، إذا أخطـأتُ يمهلنـي، وإذا غلبـتْ عـليّ بشريتـي أمـدَّ في أجـلي لأعرفـه حـق المعرفـة وأعـود إليـه راغبًـا طامعًـا لا خائفًـا مرغـمًا مرعوبًـا (وَلَـوْ كُنْـتَ فَظًـا غَلِيـظَ الْقَلْـبِ لانْفَضُّـوا مِـنْ حَوْلِـكَ).

خطيب يجعلني أرى الله في خطبته.

2. ما الضير أن أقول لك إني أرى الله في سيمفونيات بيتهوفن؟

أنـت تـرى الله في الصـلاة وأنـا أراه فيهـا وفي قطـرة النـدى الصباحيـة وهـي تغسـل وجـه الوريقـات الناعسـات، وفي ضحكـة ابنـي عندمـا أحـكي له "حدّوتـة" وينـام شـبعانًا راضيًـا، وفي تجاعيـد العجـوز التـي ظفـرتْ بـ"اتنـين

t.me/qurssan

جنيه عيش" من الفرن فابتسمتْ وألقت عليَّ تحية نديّة وشـ... طريقها لتُفطِر ولدها وتجهّزه للمدرسة، وفي الجُرح الذي يلتئم يوماً بعد يوم حتى يطيب ويبرأ فيورثُ القوة والصحة بعد الضعف والألم وفي القطّة الصغيرة التي نالت نثارةً طعامٍ سقطت عفوًا من أحدهم في الشارع فالتقمتها راضية برزقها مرضية، وفي عيني أمي وهي تدعو لي صباحًا أن يسترني الله ويفتح في وجهي الأبواب المغلقة، وفي ساندويتش الهامبورجر الذي اشتريته من حلال و"راضيت" به عامل القمامة الذي يعمل في عزّ الحر دون شكرٍ من أحد، وفي نجاح ابنتي في مادة القرآن الكريم بعد أن اجتهدتْ وذاكرتْ وسهرتُ ليلة كاملة أدعوه سبحانه ألا يكسر بخاطرها، وفي انفتاحِ إشارة المرور وتدفّق السيّارة إثر دعوتي أن ألحق بالاجتماع المهم الذي تأخرت عليه!

أراه في رسومات فان جوخ ودافنشي وموسيقى بيتهوفن وشتراوس وموزارت وحروف نجيب محفوظ ودوستويفسكي والعقاد وتوفيق الحكيم وصوت أم كلثوم وسيد مكاوي وماجدة الرومي وفيروز وعلي الحجار وتماثيل محمود مختار ومايكل أنجلو ومحمد غني حكمت.

أنت تراه في الأشياء العظيمة المهولة والمعجزات الكونية التي تذكرها الكتب المقدسة وتقيم عليها عمود الدين، وأنا أراه في ذلك وأيضًا في أبسط التفاصيل والأشياء وأهونها وأرقّها، فما التعارض بين ما تراه وما أراه؟

ولماذا تفرض عليّ أن أراه بطريقتك؟

ومن قال إن هناك طريقة واحدة لرؤية الله سبحانه وتعالى؟

ولماذا لا يكون لكل منا طريقته التي يصل بها إلى خالقه، بما يناسبُ ثقافته وخبرته ورؤيته ونضجه في الحياة؟

t.me/qurssan

وهل لو رأى الأنبياء الله كما رآه عامة البشر، كانوا سيُختارون من قبل المولى عز وجل، ويصبحون أنبياء ويحملون إلينا النور الذي فَرَق بين الحق والباطل؟!

هل الصالحون والأولياء، يرون الله كما نراه، ويصلون إليه من الطريق نفسها التي نسلكها؟ بالتأكيد لا، وإلا لما فُضِّلوا علينا وأصبحتْ لهم هذه الحظوة والمكانة.

وأنتَ إذا ما استمعتَ إلى بيتهوفن -هذا رأيي- شعرتَ بصفاء نفس وأريحية وهدوء وسمو يمنحك القدرة على التأمل والتفكر ورؤية آلاء الله في كونه، وبديع صنعه، وجميل موهبته التي أفاءها على هذا الرجل، حتى أخرج من الجمادات -الآلات الموسيقية- كل هذا السحر والأبّهة والجمال والعظمة والجلال.

هذا رجلٌ يمثّل لك بموسيقاه شدو العصافير وغضب الشلالات وهدر الأنهار وصراع الإنسان مع قوى الشر وجلّ المشاعر التي نعجز عن وصفها والتعبير عنها، وفي سيمفونيته التاسعة الأخيرة -على سبيل المثال- قدَّم لأوّل مرة في تاريخ التأليف السيمفوني قصيدة الشاعر الألماني شيلر "إلى الفرح" التي تمجّد الله في الأعالي وتثني على جميل صنعه وتدعو البشر للعودة إليه.

ربما لهذا كان النقشبندي -إمام المبتهلين- والشيخ محمد رفعت -سيد القرّاء- يحتفظان في مكتبتيهما بالمجموعة الكاملة لسيمفونيات بيتهوفن وغيره من الموسيقيين الذين يقودون الإنسان للقاء نفسه وفهمها عبر دروب غير مألوفة ومحفوفة بالمتعة والتجلي!

t.me/qurssan

وأغلب قرّاء القرآن المشاهير قرأوا وفق المقامات الموسيقية المعروفة، بل وكان الواحد منهم يقرأ الآية بأكثر من مقام طلبًا لإمتاع السمّيعة ومنح مساحات أكثر للتأمل وفهم مراد الله عبر الإيقاع والنغم.

فلا بأس أن يصل كلٌّ منا إلى الله من الطريق الذي يفضله، أو يجده مُعبّدًا، المهم أن نلتقي جميعًا لديه هناك.

3. هل الموسيقى والغناء حرام فعلًا؟

بالتأكيد هذا سؤال شائك للغاية، وسوف يفتح عليّ مزيدًا من أبواب جهنم، لكني مع ذلك سأعرض وجهة نظري، التي ليستْ ملزمة لك أبدًا، كما أن وجهة نظرك غير ملزمة لي، فكلانا حرٌّ في اعتناق ما يريده، هذا هو جوهر العقيدة، حتى إن الله نفسه لم يُجبر أحدًا على الإيمان به، وجعل الأكل والشرب والهواء -التي لا يعيش أحدٌ دونهم- متاحين لكل البشر، مَن آمن ومَن كفر، كي يحرّرك من قيود البيولوجيا ويترك لك حرية اتخاذ قرار الإيمان به من عدمه دون ضغوط.

الفقهاء والشيوخ يُحرّمون الموسيقى انطلاقًا من حجتين أساسيتين:

الأولى: الآية الكريمة التي تقول (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ).

إذ قال الفقهاء إن المقصود بلهو الحديث هنا: الغناء!

لكن دعني أصدمك، وأخبرك الحقيقة التي أخفوها عنك كل هذا الزمن!

فالمقصود هنا ليس الغناء حصرًا، وإنما كلُّ ما يُلهي عمومًا، وإليك القصة كاملة.

t.me/qurssan

الذين حاربوا الإسلام في بدايته، كانوا يريدون أن يصرفوا الناس عن منطق القرآن وكلام النبي، فماذا يفعلون؟ يلهونهم بحديث غيره، كيف؟

لقد رأوا أن القرآن يُكثر من القصص وحكايات الأقوام السابقة فيُلهب مخيّلة المؤمنين ويدفعهم للتفكر والتدبّر، فقرروا أن يقلّدوه ويحتذوه، فجمعوا ما استطاعوا إليه سبيلًا من حكايات الفرس والروم وكسرى والأمم البائدة، وأنفق كبيرهم "النضر بن الحارث" أمواله خلال تجواله في بلاد فارس على ذلك، وأقام "نَصْبَةً" يحكي فيها حكاياته ويُضخّم أحداثها ويخلطها بالخرافات والأساطير لتسحرَ الناس وتخلط عليهم دينهم.

وهذا سبب نزول الآية، لا تحريم الغناء!

والدليل الثاني على ذلك، تجده في معنى لهو الحديث لغويًا.

فاللهو في اللغة هو كل ما يُلهي عن مطلوب لله وتكليفه، وإن لم يكن في ذاته لهوًا، فمَن لعب كرة القدم -مثلا- وضيّع صلاته بسببها، إنما تلهّى بها، فكرة القدم هنا لهو، ومن عكف على مذاكرته حتى ضيع صلاته، فإن مذاكرته هنا لهو، ومن عكف على موبايله يستمع إلى الموسيقى حتى فاتته صلاته، فالموسيقى هنا لهو.

أي إن اللهو ليس لفظًا قاصرًا على الموسيقى والغناء فحسب، إنما هو توصيفٌ عامٌ لأي شيء يُلهي عن أداء الفريضة في موعدها، أو أي أمر من أوامر الله عمومًا، فماذا لو لعبنا كرة القدم وذاكرنا واستمعنا إلى الموسيقى دون أن يلهينا ذلك عن الله؟ أتظل هذه الأفعال لهوًا؟

بالتأكيد لا، إذ انتفى الفعل الذي يضفي عليها صفة اللهو، فأصبحت أفعالًا عادية.

t.me/qurssan

الحجة الثانية: أن الموسيقى والغناء يثيران الغرائز ويحرّكان الشهوة.

وفي هذا السياق أقول لك: أتحدّاك أن تأتي لي بحركة واحدة من موسيقى بيتهوفن مثلًا، يمكن أن تثير غرائزك أو تحرّك شهوتك وتحرّضك على الحرام!

ثم استمع معي إلى هذه الأبيات مغنّاة ومُموْسَقَة:

واللهِ ما طلعتْ شمسٌ ولا غربت .. إلا وحبُّك مقرونٌ بأنفاسي

ولا خلوتُ إلى قومٍ أحدثُهم إلا وأنت حديثي بين جُلّاسي

هل استُثرت؟

هل هممتَ بخلع بنطالك والبحث عن امرأة لتزني معها؟

أم ارتجف قلبُك حبًا للمعصوم، واشتقتَ للقائه على حوضِه والشرب من يده شربةً لا تظمأ بعدها أبدا؟!

وما الإثارة في غناء الأم لطفلها حتى ينام؟

وما الإثارة في غناء عمّال التراحيل والبناء في أثناء عملهم ليمضي الوقت وينسوا تعبهم وكدهم؟

وما الإثارة في غناء قصيدة تمجّد الشهداء وتذكّر بقيم الفداء والتضحية من أجل الوطن؟!

فالموسيقى والغناء -كغيرهما من الأشياء- حلالُهما حلالٌ وحرامهما حرامٌ -وهو ما ذهب إليه الشعراوي ومحمد الغزالي بالمناسبة وغير واحد من العلماء المحدثين- فإن غنيتَ فاحشْ القول ولئيمه وحضضتَ على الفسق أو الكراهية والتنابذ بالألقاب، وصاحبَ ذلك الرقصُ العاري وشُرب المحرّمات، فهذا حرام لدى كل ذي عقل ومروءة،

t.me/qurssan

وإن ارتقيتَ بالخُلق وسموتَ بالنفس وأثرتَ الشجن والتأمّل والعِظة، فهذا حلال، ولا بأس به على الإطلاق.

كالسكين، إن ذبحتَ بها أحدًا -دون وجه حق- فهي حرام، وإن سمّيتَ اللهَ وذبحت دجاجة فهي حلال.

بل إن حُكم الذبح نفسه يتغيّر بتغيّر الظرف المحيط به، فإن ذبحتَ عدوًا في حرب، أو لصًا يهاجمك ويعتدي عليك وعلى حرماتك يُريد سلب شرفك، فحلال، وإن فعلتَ ذلك في السِلم ودون تهديد من أحد، اعتداء وظلمًا، فهو حرام.

ولعلّ الفقهاء عندما غالَوا في تحريم الموسيقى والغناء، فلأنه في الجاهلية، وفي عصورهم المتأخرة، كان ذلك يقترن دومًا بشرب الخمر وتجمّع الغانيات ومواقعتهن وإلهاء الناس عن دينهم، فأرادوا إغلاق هذا الباب، كي يستبرؤوا لدينهم وعرضهم، لكن الزمن يتغيّر، وأخلاق الناس واحتياجاتهم كذلك، فلنا أن نسترشد بما قالوا ونضعه في حسباننا لأنهم علماء حملوا أمانة توصيل رسالة الله إلينا، دون أن نقدّسه ونؤلههم!

ولعلي أختم بالحادثة الشهيرة التي روتها السيدة عائشة عندما دخل عليها أبو بكر وهي بصحبة رسول الله الكريم ولديهما جاريتان تغنّيان وتضربان بالدُف، فنهرهما أبو بكر، فقال له المعصوم: "دَعْهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ فَإِنَّهُ يَوْمُ عِيد".

فهل فعلَ الرسول المعصوم شيئًا مُحرّمًا، أم أن الفقهاء أعلم منه -صلى الله عليه وسلم- بالحلال والحرام؟

أترك الإجابة لك.

t.me/qurssan

t.me/qurssan

هل الإفطارُ في رمضان ذنبٌ نستترُ منه؟

اضطُـر صديقـي المريـض أن يشـتري زجاجـة ميـاه في نهـار رمضـان، لأخـذ دواء السُـكّري، فنظـر إليـه البائـع شـذرًا، ولم يسـتطع أن يُمسـك لسـانَه طويـلًا، فطـوّح بمـا يحسـبه حديثًـا شريفًـا في وجوهنـا، وإن بصـوتٍ أكـثر خفوتًـا مـما اعتـاد بـه أن يسـبّ الديـن للعيـال الذيـن يلعبـون الكـرة أمـام محلـه لسـاعة متأخـرة يوميًـا:

- "إذا بليتم فاستتروا" يا أستاذ!

هـذا البائـع مـارس هوايـة البـشر المفضّلـة منـذ فجـر التاريـخ: القفـز في ملابـس النـاس الداخليـة، والحكـم عليهـم بالظاهـر، وظـن السـوء بهـم في مقابـل خيريتـه المطلقـة وإدراكـه المرهـف للصـواب والخطـأ ويقينـه في احتيـاج ديـن الله لـه كي يدافـع عنـه ويبـشّر بقواعـده وقوانينـه للمارقـين أمثالنـا!

t.me/qurssan

لكـن الحقيقـة أن "إذا بُليتـم فاسـتتروا"، ليـس حديثًـا شريفًـا، إنمـا مقولـة تاريخية!

معنـى صِيـغ مـن حديـثٍ شريـف آخـر نبّـه فيـه رسـول الله -صـلى الله عليـه وسـلم- إلى ضرورة عـدم مجاهـرة العبـد بفعـل "الفواحـش" كالزنـا، كي لا يضـع نفسـه تحـت طائلـة تنفيـذ الحـدّ عليـه، فتفوتـه حظوظـه في الإنابـة، وبـدلًا مـن ذلـك فليتُـب ويسـتغفر ويلـزم بـابَ الكريـم حتـى يغفـر لـه.

وطلـبُ النبـي، طلـبُ أبٍ يخـشى عـلى بنيـه مَغبّـةَ الحُمـق والجهالـة والاندفـاع والإسراف عـلى النفـس، فيرجـو لهـم السـتر والإمهـال، عـلّ ندمًـا يسـتقطر رحمـة، وتفكُّـرًا في ذنـبٍ يغسـل الـروحَ فيعـود بهـا إلى الطريـق القويـم.

والتعبـير بـ"بليتـم" فيـه بُـشرى بالفـرج إذا أتبعنـاه بالسُـترة، لأن البـلاء يعنـي الاختبـار والامتحـان، لا الحكـم النهـائي وفـق نمـوذج إجابـة محـذد سـلفًا لا نقـض لـه ولا إبـرام، ومـا دام في الصـدر نَفـسٌ يـتردد فإمكاننـا دائمًـا تغيـير الإجابـات بمـا يُـرضي ربنـا.

وليـس المُفطـر في رمضـان لعـذرٍ، بمرتكـبٍ فاحشـةً حتـى يسـتتر، أو تُلهبـه عيـونُ النـاس، إنمـا آخـذٌ برخصـة يُثـاب عليهـا، ويأثـم إن أهملهـا كِـبرًا أو خجـلًا أو جهـلًا.. فـآذى نفسـه، وأفسـد جسـده الـذي هـو عتـاده وعدّتـه للقيـام بأوامـر ربـه.

ومَـن ينتظـر مُفطـرًا ليحـرّك جوعه وعطشـه، أو يجـرح مشـاعره المرهفة، فـالله غنـيٌ عـن ريائـه، ولا خـيرَ في عبـادة يأتيهـا عـلى حـرفٍ وعـلى سـبيل العـادة، ثـم لا يتبـيّن مقاصدهـا ومعانيهـا!

t.me/qurssan

ولعلنا في هذا المقام نلتجئ إلى معين الحكمة ومستودع الإنسانية، النبي الأكرم وقصته مع الرجل الذي أفطر دون عذرٍ في رمضان، فأمره سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- أن يكفِّر عن ذنبه بعتقِ رقبةٍ، أو صيام شهرينِ متتابعينِ، أو إطعام ستينَ مسكينًا، فأخبره الرجل أنه أفقر وأضعف من أن يفعل أيًا من هذه الخيارات، فأتى النبي الرحيم بحفنة من التمر، منحها للرجل وقال له تصدَّق بها على أي محتاج، فقال الرجل بحياء إنه لا يعرف مَن هو أكثر احتياجًا منه، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى ظهرت أسنانه، وقال له: كُله.

نبيّك يتقبّل الخطأ، ويعفو عنه، ويُعين على تجاوزه، لا يتجبّر بسلطة ربّه وإن على حق، ولا يتشدّد في تطبيق القواعد والقوانين، إنما يتعامل بمرونة مُفرطة ونفاذ بصيرة مدهش، حتى ليتحوّل كل موقفٍ بسيطٍ بين يديه إلى درسٍ وعبرة تستلهمها البشرية جمعاء وتستمد منها ما تحتاج إليه دائمًا لتصبح أكثر إنسانية!

فمَن أراد الصوم فليصُم، ومن أراد الرخصةَ بحقها فليأخذ بها، دون مزايدة ولا محاكمة ولا معايرة ولا تألّه ولا استقواء ولا جهالة ولا ازدراء ولا دسّ أنوفنا في شؤون مَنْ الله أعلم بهم، وبما يحملون فوق أكتافهم من أثقال.

t.me/qurssan

t.me/qurssan

ولكن النبي محمد "باشا" فعلًا!

أثار منشور، أوردته دار الإفتاء، على صفحتها الرسمية، احتفاء بيوم ميلاد النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، عدَّدتْ فيه صفاتِ الرسول، جدلًا كبيرًا على مواقع التواصل الاجتماعي، بسبب استخدام كلمة "باشًا" -بشوش الوجه ضحوكًا- التي لم يفهمها بعضهم، وحسبوها "باشا" التي نتداولها فيما بيننا، ولاموا على مسؤول الصفحة وصف النبي الكريم بهذه الصفة العصرية للغاية، وطالبوه بأن يتّقي الله!

وهو ما يطرح إشكاليتين:

الأولى: قلّة الثقافة، والغُربة الحاصلة بيننا وبين الألفاظ العربية، ما يؤدّي -مع الوقت- لغموض بعض الكلمات، وربما فقدانها معانيها نهائيًا، حتى لو لم تكن صعبة، أو بعيدة في زمن تأليفها.

الثانية: دورة حياة الألفاظ، وتحوّل معانيها بمرور الزمن.

t.me/qurssan

فالكلام الذي نشره مسؤول صفحة الإفتاء، منقول من كتاب (زهرة التفاسير)، لمؤلفه محمد أبو زهرة، المتوفى منذ 43 عامًا تقريبًا، أي إنه ليس قديمًا للغاية، بحيث يصعب فهمه، أو إساءة تفسيره، لاستخدامه قاموسًا عفى عليه الزمن، إنما هو بشكل أو بآخر، معاصرٌ لنا، ولغته حية وحديثة، مع ذلك، وجد الغالبية مشقة كبيرة في استيعاب كلامه، ما يعني أن وتيرة فقداننا اللغة، تسير بأسرع مما نتخيّل، وربما تصل بنا في لحظة من اللحظات، لعدم فهم أحدنا الآخر نهائيًا!

والحفاظ على اللغة، ليس ترفًا ولا "فذلكة" ولا نُخبوية، وإنما حفاظٌ على الهوية، وعلى وجود أرض مشتركة، نقف عليها جميعًا في النهاية، ونتمكّن من التواصل الفعّال، وفهم أحدنا الآخر، لقضاء حوائجنا وإعمار الأرض.

النقطة الثانية، أن اللغة، كائن حي، يتطوّر وينمو، ويتعايش مع المصطلحات التي تجدّ، ويحتويها، ويدمجها في بنيته، ويعطي لها دلالات جديدة، ومعاني ربما لم تكن لها في بدايتها، وإلا مات واندثر، كما أنه يحافظ كذلك على ثوابته، وأصوله، كي يكون له ماضٍ يلجأ إليه، وجذور تثبته في الأرض، كما يسعى أن يكون له مستقبل، فالماضي والحاضر والمستقبل محطات يتحرّك فيها كائن اللغة بسلاسة، كي لا يموت.

وعليه، فكلمة باشا، التي قيل إنها تركية، كانت في فترة الدولة العثمانية لقبًا يمنحه السلطان العثماني للسياسيين البارزين، والجنرالات والشخصيات المهمة والحكّام، وهو ما يعادل لقب "لورد" الإنجليزي، وأُلغِي بإقامة الجمهورية في مصر.

ويقال إن الأيوبيين أوّل من استخدم اللفظ، كمرتبة شرفية لمماليكهم، وكان يعني "حامل حذاء السلطان" أي إنه يلازم السلطان في كل مكان

t.me/qurssan

ويقدّم له خدماته، وهو ما كان يُعدّ شيئًا مشرّفًا يباهي به المماليك، ومع الوقت، تطوّرت اللفظة، واختفى أصلها الفارسي، وبقي شبهها باللفظة التركية، التي تعني كبير وهي "باش".

وفي استخدامنا المعاصر، تعني الكلمة: الكبير، أو صاحب الشأن، أو الشخص المهم، أو من يقدّم خدمة غالية لنا، فنشكره بهذا اللقب.

إذًا، فلا حرج ولا إثم على الإطلاق -من وجهة نظري- لو قلتَ على النبي محمد اليوم "باشا"، بلغتنا المعاصرة، قاصدًا أنه رجل مرموق، كبير المقام، له أفضالٌ علينا جميعًا، تستحق أن نجلّه ونبجّله. فهو من هدانا للنور الحق، وفتح لنا أبواب رحمة ربه. الدين أوسع من الوقوف عند شكليات لا تعني أحدًا، والله أكبر من ألا يفهم مقصدنا، وهو من خلقنا وركّبنا وصنعنا على عينه.

ولو كانت "باشا" معروفة أيام النبي، لكان الصحابة قد أطلقوها عليه بلا أي حرج.

الأمر يشبه كلمة "القماش" التي تعني عند الفيروزبادي في القاموس المحيط: أرازل الناس، أو ما وقع على الأرض من فتات، وعند الجوهري في تاج اللغة وصحاح العربية: متاع البيت، فيما درج الناس اليوم على استخدامها مرادفًا للنسيج، وإذا قلت هذه الكلمة لأحد فلن يخطر ببال أحد المعنى القديم أبدًا، فكثرة دوران الكلمة على الألسنة بمعناها الجديد، تحول دون اللبس، أو الفهم الخاطئ، وتجعل من السهل فهم ما تقصده.

وأذكر حادثة طريفة، رواها الكاتب الجميل عمر طاهر، عندما زار قبر رسول الله، ووجد رجلًا بسيطًا يقف أمام المقام في هيبة، ولا يجد ما يقوله، انعقد لسانه من العظمة، وخشع قلبه من الرهبة،

t.me/qurssan

حتى فرّت حروفه ولم يعد يدري ما عليه أن يفعل، وعندما أحس أن المُقام طال به ولم ينطق، تحرّك لسانه بعفوية وبراءة، ورفع يده أخيرًا جوار رأسه بعلامة السلام، وقال الكلمة التي اعتبرها مرادفًا للتقدير والاعتراف بالفضل:

- "باشا".

فهل يمكن أن تتّهم هذا الرجل بقلة الأدب مثلًا، أو الجهل بمقام النبي، أم تحترم تلقائيته وبساطته وتضحك من قلبك لبراءته وصفاء قلبه؟

فالأولى من الوقوف عند الصفات والمعاني، أن نقف عند الأفعال والتصرفات.

فهل أدّى من اعترض على المنشور، تعصبًا لرسول الله، حقّ الرسول عليه، صلاة وصياما وأعمال بر واتقاء لله، أم أنه اكتفى بما هو سهل، وفي متناول يده، فكتب كلمتين على لوحة مفاتيحه، وقام بعدها ليكمل معاصيه وحياته التي لا يأتي فيها ذكر النبي إلا يوم مولده، مقترنا بالحلويات؟!

t.me/qurssan

صديقي محمد رسول الله

تربّينا على حبِّ الرسول -صلى الله عليه وسلم- وآل البيت منذ الصغر، هذه نظرة عامة وزاوية واسعة، لكن شخصنة الأمور عادة ما تُعطيها بعدًا آخر من التجلّي، وتُورّطنا أكثر في تفاصيل نحتاج إليها أشدّ الاحتياج في لحظات فارقة من حياتنا.

كانت هناك نقطة تحوّل حقيقية وقعت في علاقتي بالرسول، عندما أدركتُ -بشكل عملي- قيمةَ الصلاة عليه وقت الضيق والكرب وإطباق الدنيا على أنفاسي، توسلًا بمكانته العَليّة عند رب العرش العظيم، الذي أكرمه ورفع قدره فوق سائر عباده، فجعل الصلاة عليه وطلب شفاعته من صميم الدين وأداء العبادات.

وكنتُ دائمًا ما أرى النبي في صورة شيخ أربعيني قوي، ذي لحية كثة، وابتسامة رحيمة لا تغادر شفتيه في أشد المواقف، فاتحًا ذراعيه مُرحِّبا على الدوام، ينظر إلى تصرفاتي بعتاب لكن دون يأس، وهو يُدرك

t.me/qurssan

أنني يومًا ما سأعود إلى الحق، وإن طال بي المسير في أرض التجربة والخبرة.

ثم من كل تاريخه المهيب، ومواطن عظمته التي سارت بها الشعراء، وكفاحه المرير لتحرير العقول وتغيير مصير الإنسانية جمعاء، وتحمله ما لا يخطر على قلب بشر، كنت أتوقف أمام لمحاتٍ بعينها، تأسرني أكثر من غيرها، ليستْ في مواطن الحرب والقوة والسلطان والتغيير الجذري، إنما في مواطن الضعف البشري والمواساة وجبران الخواطر والطبطبة، كموقفه من الطفل الصغير أبي عمير الذي مات عصفوره فجلس النبي جواره يواسيه ويضحكه ويسلّيه!

نبي يحمل على عاتقه مصير أمة، يلتفت وسط كل هذا لطفل عمره ثلاث سنوات ويواسيه لفقده عصفورًا!

ثم يوم فتح مكة، هذا الأمر الجلل المفصلي الذي سيغيّر وجه الأرض، فرش النبي الرحيم عباءته لمسنّة من صديقات السيدة خديجة، رآها مقبلة عليه، فاصطفاها لنفسه وظل يتحدث إليها زمنا عن مآثر الراحلة الغالية!

نبي لا ينسى الفضل ولا يتنكر للمعروف ويتذكر الأحياء والأموات بالخير ويتلطف مع الصغير والكبير!

وذلك الرجل الذي يُسرع الخطى إليه فرحًا مستبشرًا قائلًا: "يا رسول الله جئت أبايعك على الهجرة والجهاد، وتركت أبوي يبكيان"، فيقول له عليه الصلاة والسلام: "ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما".

نبي يقدم الأب والأم على الجهاد والهجرة، ويمنح للمقصّرين خريطة إصلاح ما أفسدوا، ويعيد ترتيب الأولويات!

t.me/qurssan

ثم ذلك الأعرابي الذي وقف يوما أمامه، يسأله مزيدًا من العطاء قائلا بغلظة: اعدل يا محمد.

فلم يقل له النبي: "اقف مكانك، إنت بتكلم رئيس الجمهورية يا ولد"، ولم يتجاهله تحقيرًا لشأنه واستهانة بأثره، ولم يجلجل فيمن حوله: أنا مندوب العناية الإلهية لانتشالكم من الجهل والفقر والمرض وإدخالكم الجنة، فكيف تجرؤون"، إنما ابتسم في وجهه وقال برفق: "ويحك يا أعرابي من يعدل إن لم أعدل؟".

وعندما كان يصلي، ويتسلّق الحسن -ابن فاطمة وعلي- كتفيه، يطيل في السجود كي لا يزعجه!

وعندما كان يسابق عائشة ويلعب معها، يتركها تسبقه!

وإذا عطش أصحابه، يسقيهم أولا، ثم يشرب!

ولما دخل عليه رجلٌ أصابته رِعدةٌ من هيبته، قال له: "هوّن عليك فإني لست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد"!

وعندما اتُهم في شرفه وشرف زوجته في حادثة الإفك، لم يُسخّر الآلة الإعلامية لاحتواء الأزمة، أو التشكيك في دين المنتقدين، أو يجنح للسلم ويطلّق زوجته، إنما -وهو رسول الله- انتظر الفَرج كسواه، وأحسَن إلى عائشة في مرضها، حتى كشف الله الغمة!

وروى عبد الله بن عمر: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر، فانطلق لحاجته فرأينا حُمرة -طائر صغير كالعصفور- معها فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة فجعلت تفرش -ترفرف بجناحيها من اللوعة- فجاء النبي فقال: من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها"!

t.me/qurssan

والمرة التي رأى فيها بعيرًا قد لصق ظهرُه ببطنه من الجوع وسوء المعاملة، فقال: "اتقوا الله في هذه البهائم المعجَمة -التي لا تتكلم فاركبوها صالحةً وكُلُوها صالحةً".

فهو -صلى الله عليه وسلم- إنما يُقيم عمود الدين والدنيا أيضًا للبشرِ ولسائرِ المخلوقات التي تشاركه الحياة، وتقتسم معه موارد هذا الكوكب، بل لعلّه -من جانب آخر- يريد توجيه رسالة مبطّنة مفادها: إذا كان هذا مقدار الرحمة بالحيوان في شريعة الله، فكيف يجب أن تكون رحمة أحدنا بالآخر؟ كيف يجب أن نسيِّر السفينة التي توشك على الوصول إلى مرساها وملّا نفهم بعد الغرض الأشمل والأهم من رحلتها؟!

فمحمد رسول الله بالنسبة لي، ليس ذلك المحارب الصنديد وصاحب الرسالة العالمية وإمام الدعاة وصاحب الحلم العالمي بسلام حقيقي يعم العالم على أسس العدل والمساواة فقط، إنما كذلك: هذا الطفل اليتيم الذي أنار الله قلبه، فأبى إلا أن ينير قلوب الآخرين!

الذي رغم سلطته وسطوته لم يبت قط شبعانًا من شيء دنيوي!

الذي سبقتْ رحمتُه غضَبه، وإنسانيتُه مطالَبته بحقه، وتواضُعه مكانَته العظيمة.

صديقي ونبيي وحبيبي -صلى الله عليه وسلم- الذي أرجو شفاعته يوم يحيط بي عملي، وأقف محاصرًا بذنبي على جبل القيامة، فيقول لي بابتسامته الحيية "إن الله غفور رحيم".

t.me/qurssan

الوصفة السحرية لتعلّم اللغة العربية

أريد أن أخبرك بمفاجأة: لتحسين قواعد النحو والإملاء واللغة العربية عمومًا، لستَ في حاجة إلى الانكباب على الكتب اللغوية ليل نهار. الأمر أبسط من ذلك بكثير.

فقط أكثِر من قراءة أي صنف أدبي أو علمي تحبّه، وسوف تنطبع الكلمات والقواعد والتركيبات السليمة في ذهنك مع الوقت، بمعنى آخر: ستزيل الغبار عن فطرتك السويّة وتعيد إليك ما سبق أن تعلّمه نوعك البشري عبر التاريخ.

ومن كثرة القراءة، وتنقلك بين الصفحات والمعاني والأفكار، واستغراقك فيها بكيانك وجميع حواسك، ستجد أنك قادرٌ على فهم أجزاء الجملة بمهارة، وإدراك الأحداث التي تقع، حتى لو لم تتمكن من إطلاق أسماء علمية عليها كما يفعل المختصّون، ولو وصلتَ إلى هذه النقطة، فيمكنك وقتها الاستعانة بكتاب مُبسّط لترتّب الأوراق في ذهنك ليس إلا، وامتلاك لغة موحّدة للحديث بها إلى أهل العلم.

t.me/qurssan

ولعلمك، هذه هي الطريقة نفسها التي كان العربيّ القديم ينقل بها لغته إلى ابنه ويعلمه، وإن كان عمادها محاكاة النطق لا القراءة وقتها، إذ كان يُرسله إلى البادية، حيث العرب الذين حفظت عليهم الصحراءُ سلامة لغتهم، وحمتها من اللغو واللحن، فيقيم معهم حتى يشتد عودُه اللغوي، وربما كشف عن شاعر أو فارس أو كليهما معًا.

أما أغلب الطُرق التقليدية في تعليم اللغة التي تعتمد على البدء بدراسة القواعد أولًا، ثم الانتقال إلى قراءة بعض النصوص الصعبة المعقدة، دون وجود حصيلة لغوية كافية، ولا علاقة بينها وبين البيئة التي سيخرج إليها الدارس، ولا خطة واضحة تنتظم عناصر المنهج وترتّبه بشكل منطقي، فلا تُثمر ولا تُغني من جوع، وربما تُمكّن أحيانًا من (وصف) اللغة: هذا فاعل، هذا مفعول، لكنها لا تتيح امتلاك ناصيتها واستخدامها في حياتنا اليومية بشكل سلس.

وفي العصر الحديث نحتاج إلى أكثر من (الحفظ) لنتقن شيئًا، نحتاج إلى الألعاب التعليمية، والمناهج التفاعلية، والمسابقات المثيرة، وكل ما يجمع بين التعلم والمتعة. فأمر لا تجد فيه متعتك لن تشغف به.

كما أن اللغة -أي لغة- تضم أربع مهارات: الاستماع والفهم، الحديث، الكتابة، القراءة، وكي نصل إلى الطلاقة فيها، لا بدّ من تنميتها معًا في الوقت نفسه، فيما تركز مناهجنا غالبًا على مهارة وتترك الأخرى في مهبّ الريح، أو تعطي وقتًا لإحداها قبل أوانها فلا تعود لها ثمرة.

لكن الميزة أننا في تعلمنا العربية لا نبدأ من الصفر، إنما نقف على أرض ثابتة راسخة اسمها "العامية".

نعم كما قرأت: العامية مدخل من مداخل دراسة الفصحى، إذ إن أغلبها كلمات فصيحة نحسبها عامية، أو عامية بقليل من الجهد

t.me/qurssan

والإضافة والحذف تتحول إلى فصحى، بل إن بعض علماء اللغة يذهبون إلى أن العامية حافظت على ثروة هائلة من الألفاظ الفصيحة المهملة عند الكتاب والأدباء والمصطلحات العربية الصحيحة التي استُنبطت أيام ازدهار المدنيّة ولم يضمها معجم ولا سجّلها أحد من علماء اللغة إلا في القليل النادر، فلا حرب بين اللهجة العامية واللغة العربية الفصيحة أبدًا، إنما تبادل منافع وعلاقات حُسن جيرة إن أحسنّا استغلالها سنكسب الكثير.

نُكرِّر: وصفة إتقان العربية تتلخّص في القراء ثم القراءة ثم القراءة.

اقرأ ما تُحبّه فقط، الكتاب الذي لا يُمتعك ألقِه في سلة القمامة، وتناول غيره، تأمّل المفردات والتراكيب التي تمرّ عليها، عِش مع الصور والأخيلة، دعها تتسلل إلى أعماقك، وتصبح من صميم روحك، وحاول محاكاتها ولو لعبًا ولهوًا، ثم: اقرأ واقرأ واقرأ.

في البداية ربما تستثقل الأمر -لهذا قلنا اقرأ شيئًا ممتعًا- لكن بعد ذلك ستُدمنه، وستخرج بأكثر من إتقان اللغة العربية: المعرفة والمعلومة والترحال والخبرة الحياتية والطُرفة والمتعة الصافية التي لا تدانيها متعة.

لكن.. ابدأ اليوم، لتصل بعد بضع أشهر أو سنين، حسب إيقاع سيرك في الرحلة.

t.me/qurssan

t.me/qurssan

كيف أضعنا على أنفسنا فرصة الاستمتاع بالشعر الجاهلي!

مناهجنا ظلمت الشعرَ الجاهليَ، وواضعوها شوّهوا صورته في أعيننا في سني دراستنا الأولى فحرمونا كنزًا إنسانيًا وبوتقة مشاعر ملتهبة ومدرسةً للحب لا تُغلق فصولها ليل نهار.

تخيّروا لنا نصوصًا تعجّ بألفاظ لم نألفها ولا نستخدمها في حياتنا اليومية، نصوصًا متخشبة فاقدة الشخصية، في مرحلة لا يحمل فيها قاموسنا اللغوي ما يكفي لإسعافنا، ثم انهالوا تقطيعًا في لحمها بغريب المصطلحات: هذه استعارة وهذا مجاز مرسل علاقته المحلية، تأوّلوا على الشاعر ودخلوا في نيّته، ففرّغوا النصوص من روحها وأحالوها قيدًا نسعى إلى التخلص منه بانتهاء آخر سؤال في الامتحان، لم ينظروا للصورة الكلية والمحتوى الدرامي والإنساني، ليضعوا أيديهم على

t.me/qurssan

أوجاعه وينقلوا إلينا خلاصة تجربته ومعاناته، إنما ظلموه وظلمونا حتى صارت بيننا قطيعة لا يُرجى منها برءٌ ولا شفاء!

فيما أن الشعر الجاهلي، من أصفى مرايا النفس البشرية، موسوعة شاملة لمختلف المشاعر والأحاسيس، وسجلّ لتاريخ طويل من محاربة نوازع النفس والصحراء والحياة، وذاكرة حية وواعية جاهزة للاستخدام الفوري، ربما توفّر علينا الكثير من المواقف الصعبة التي نمر بها في عصرنا الحديث، وتكشف لنا خبايا نفوسنا لو أننا أنصتنا إليها.

وهو بعدُ دليل متجدد على أن الإنسان هو الإنسان، ملكا كان أم عبدا، فارسا مغوارا أم رعديدا جبانا، الحب يهزمه، والفراق يَبري جلدَه، والحرب تغمُس روحه في الكرب، والمودّة والرحمة ملاذه الأخير لبلوغ السِكينة.

والمفاجأة أنك لتتعاطى الشعر الجاهلي، فلست في حاجة إلا لمعرفة معاني بعض الكلمات، وشيء من تاريخ الشاعر وبيئته، ثم ليبدأ السحر الحقيقي الذي لا يدانيه سحر آخر.

هل تريد دليلًا؟

لنجرّب مع ثلاثة أبيات فقط من مُعلّقة الشاعر العظيم امرئ القيس، الفارس المغوار الشهير تاريخيًا بالملك الضليل وذي القروح، الذي رغم مكانته ووجاهته بين قومه وإرثه الثقيل من الحرب والثأر، يهزمه الحب، ويُوجع قلبه، ويدفعه للبوح والفضفضة، وشكاية الحبيبة ومحاولة الوصول لحل لا يقصم ظهره، وفي الوقت نفسه لا يحرمه ريح من أحب وقربه.

t.me/qurssan

وحكاية امرئ القيس مع ابنة عمه عنيزة -ولقبها فاطمة- مشهورة، إذ تعلّق بها وأسره غرامها، فطلبها لنفسه، لكنه لم يصل إليها، حتى كان يوم الغدير، المعروف بيوم (دارة جلجل).

إذ إن رجال قومه خرجوا للقتال، وبقي النساء والخدم، فتظاهر امرؤ القيس بالخروج معهم، ثم تسلل عائدا، وقصد الغدير الذي قصدته ابنة عمه وبنات معها، ولما خلعن ثيابهن ونزلن إلى الماء، انقض امرؤ القيس على ملابسهن، وجلس فوقها، وأقسم ألا يعطي أي واحدة منهن ثوبها، حتى تخرج عارية أمامه.

وجلست البنات في الغدير حتى أوشك الليل أن يأتي فخشين على أنفسهن، وخرجن واحدة واحدة أمام امرئ القيس وتسلّمن ثيابهن، إلا عنيزة أبت وتمنّعت فترة، ثم رضخت في النهاية وخرجت أمام عينيه الجائعتين

وتحلقت البنات حول امرئ القيس يعاتبنه على رعونته ويقلن له إنه أخّرهن وأجاعهن، فنحر -ذبح- لهن ناقته، وأوقد نارًا عظيمة، وأطعمهن لحمها وأكل وشرب معهن وأنشدهن الشعر، ولما همّوا بالرجوع، حملت كل بنت شيئًا من متاع امرئ القيس -فلم يعد معه شيء بعد ذبح الناقة- فقال لابنة عمه:

- يا بنة الكرام لا بدّ أن تحمليني معك فإني لا أطيق المشي.

فحملته، وكان إذا تمكّن أدخل رأسه في خدرها فيقبّلها، فاذا تمنّعت تمايل الهودج، فقالت له:

- إنك فاضحي بين الرجال.

t.me/qurssan

ورغم تطور قصة الحب وتصاعدها بين العاشقين، وانطلاقها إلى آفاق أكثر رحابة، وقع بينهما ما يقع بين كل المحبين: الخلاف والجفاء والقطيعة، فكتب امرؤ القيس معلقته البالغ عدد أبياتها 78، مستعرضًا حكايتهما، آملًا في إعادة المياه بينهما إلى مجاريها.

ومما قاله فيها:

أفاطِمَ مَهْلاً بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّلِ وإنْ كُنْتِ قَدْ أزمعْتِ صَرْمِي فَأَجْمِلِي

لقد وقع الخلاف بينهما بعد طول مودة وحلاوة عِشرة، ولم تشفع المودة ولا طيب الأوقات السابقة، فسعى لنوال صفحها، وإعادة الأمور إلى مجاريها بينهما، وبما أنه في مقام الطلب، لم يخاطبها باسمها المألوف، إنما لجأ إلى تدليلها لتحنين قلبها والتذكير بما بينهما، فحذف آخر حرف من اسمها، لتصبح "فاطم" بعد أن كانت "فاطمة"، ووضع الهمزة في بدايته لينادي عليها، فيقول أفاطم، كمن يتنحنح، أو يفتح كلاما، ثم يذهب إلى قصده مباشرة، ويطلب منها أن تكف عن هذا "الدلع" الذي أفضى بهما إلى القطيعة، وحرمان كل منهما من الآخر.

ثم يقول لها: حتى لو كنتِ أزمعتِ صرمي: أي اتخذت قرارك بقطيعتي وهجراني، فأجملي، أي ترفقي، فكُري مرة ثانية، كوني حنونًا وأنت تُوقعين بي هذا العقاب غير المحتمل، فقبل كل شيء نحن أحباب لا أعداء!

ويتابع بالنبرة نفسها من العتب والأمل وعدم التصديق، كمن يصرخ في هدوء، أو يود الإشارة إلى جرحه طمعا في مداواة الآخر، لكن كبرياءه تمنعه:

t.me/qurssan

اغَـرَّكِ مِـنِّـي أنَّ حُـبَّـكِ قَـاتِـلِـي وأنَّـكِ مَـهْـمَـا تَـأمُـرِي الـقَـلْـبَ يَفْـعَـلِ

بالعاميـة: "هـي بقـت كـده؟"، أو: هـل اغـتررتِ بحبـي الكبـير لـك، وصـبري عـلى إيذائـك، حتـى رحـتِ تتصرفـين كـما شـاء لـك الهـوى، وتتخذيـن القـرارات المصيريـة التـي تخصّنـا معًـا بمفـردك دون أن تُفكّـري في العواقـب، أو تضعـي في حسـبانك رد فعـلي؟ هـل تعـوّدتِ مـن قلبـي الطاعـة العميـاء في كل مـا تطلبـين، حتـى بـات أسـهل شيء لديـك أن تهـددي بالهجـران وأنـت آمنـة مـن ردة فعـلي؟

ولاحـظ أن الهمـزة في بدايـة الفعـل "أغـرّك" اسـتفهام، ومـع ذلـك فقـد أتـت هنـا لتقريـر حقيقـة أنهـا بالفعـل اغـترّت بحبـه لهـا، فالاسـتفهام هنـا غرضـه التوكيـد وقطـع الشـك باليقـين لا السـؤال، حتـى ليبـدو الأمـر كأنـه -في أعماقـه- يؤنّـب نفسـه عـلى استسـلامه لهـا إلى هـذا الحـد حتـى لم تعـد تـرى فيـه إلا العاشـق المتيّـم المطيـع الـذي مـا إن تشـير بطـرف أصبعهـا إليـه حتـى ينفّـذ الأمـر ولـو كان فيـه هلاكـه!

ويتابـع، كأنـه يرفـع صوتـه قليـلًا وإن عـلى اسـتحياء، ويطالـب بالإنصاف وإعـمال عقلهـا فيـما يجري قبـل فـوات الأوان:

وَإنْ تـكُ قـد سـاءتـكِ مـني خَليقَـةٌ فسُـلّي ثيـابي مـن ثيـابِكِ تَـنْـسُـلِ

الثيـاب هنـا هـي القلـب، لأنهـا تُغطّـي موضعـه، وهـو يقـول لهـا إن سـاءتك خليقـة أي ضايقتـك خصلـة مـن خصـالي أو تـصرف مـن تصرفـاتي، فأخـبري قلبـي بذلـك -فهـو حليفـك- اجهـري بالسـوء الـذي تعرّضـت لـه ولا تبقـي صامتـة هكـذا وتتصرفـين دون شرح موقفـك، أخـبري قلبـي بمـا فعلـه بقلبـك، ليفارقـكِ، ليأخـذ لـك حقـك وينـأى عنـك، فيُريحـك مـما تجديـن مـن الضيـق في صُحبتـي والإسـاءة في عـشرتي، فـإني لا أفضّـل إلا مـا

t.me/qurssan

فضّلِتِ، ولا أفعل إلا ما يرضيك ويعيد إليك سعادتك ولو كان ذلك على حساب سعادتي!

وهو هنا وإن كان يبدو مستعدا لتلبية طلبها، فهو إنما يفعل ذلك ظاهريا فقط، من رواء قلبه، فيما في أعماقه لا يريد لهذا الحديث أصلا أن يقع، إنها شجاعة المُساق، ودفاع من وجد نفسه في العراء أمام سلاح فتاك بلا درع، فيحاول التجمّل والظهور بمظهر الشجاع غير المبالي، ولو أخذت الحبيبة بظاهر كلامه وقالت له، حسنا لنُنه ما بيننا، لارتُج عليه وفقد شجاعته فورا، وبان على حقيقته، بمعنى آخر هو يضرب طلقة في الهواء ليبدو متماسكا فيما قلبه يدق بشدة خوفا من أن يتحقق ما يطالب به!

إنه العاشق في كل زمان ومكان، في العصر الجاهلي أو الحديث، وإنه الحب الذي ما إن يضرب القلب حتى يغيّر كيمياءه ويقلب كل شيء رأسا على عقب، وإنه الشعر الجاهلي الصافي الرقراق الذي أحاط بكل جمال خُبرا، والذي إن فتحنا له قلوبنا واستوعبنا عذوبته فلن نستطيع عليه صبرا.

t.me/qurssan

مَنْ دَخَلها.. فهو آمنٌ!

تبدو الكتابة لعبةً في وقت من الأوقات، ثم تتحوَّل إلى مخدّر قوي للهروب من الواقع، قبل أن تصبح فعل حياة، يؤدّي غياب ممارستها لتشوّش كل شيء أمامك وإحساسك بالضياع، ويؤدي كمالُ حضورها لانفصالك عن الواقع وانغلاقك داخل ذاتك، ففي حضورها وغيابها تُكابد، لتظهر أمامها بمظهر المطيع الملتزم القانت في المحراب!

تبدو الكتابةُ غانيةً لعوبًا، تُدنيك حتّى تظنّ أنها حلالُك وملكُ يمينِك، تُقيم الأفراح وتستعدّ لليالي الملاح، فتُقصيك عنها حتّى تظنّ أنكما غريبان التقيا مصادفة في قطار، ولن يلبث أحدكما أن ينزل في محطة مختلفة، وتُنكّس الأعلام وتفضّ السرادِق وتُلملم الزينات، فتعود لتلوّح لك من بعيدٍ فاتنة مُغوية في صحراء الرتابة والعاديّة، فتُلقي ما بيديك وتتبعها مُمَنيًّا النفس بأنهار اللبن والعسل، فتختفي كأن لم تُخلق بعد، ولم يرد ذكرها في كتاب أرضي أو سماوي!

t.me/qurssan

تبدو الكتابة لأولئك الذين فقدوا أوطانهم مكانًا يعيشون فيه، كل زقاق حرف، وكل شارع كلمة، وكل إنسان عبارة، وكل صُبح أو ليل فقرة في نص بديع، وكل مدينة قصة قصيرة وكل أمّة رواية تتحدى الغياب ومحاولات طمس التاريخ وفرض بطولات وهمية، الكتابة بوق من لا بوق له، وأقدام وأيدي وأصوات من فقدوا أطرافهم وحُبست أصواتهم وظن الآخرون أن أيديهم أضحت مغلولة، وهي بالكتابة أطول من الزمن وأقوى من تعاقب السنين.

واللغة كعكاز الأعمى، يطرق به المناطق الحالكة، فيقع مرة على موضع طاهر، ومرة في النجاسات، فيستكشف محيطه، ويختبر فرضياته، ويُحدد وجهته، ويقدّر لقدمه قبل الخطو موضعها، فإذا كان العكاز مكسورًا، أخذه وسقط به في الوحل، وإذا كان سليمًا، تحمّل وزنه وفرط حركته وطيش ضرباته ونزق فتوحاته، وأصبح عينًا ثالثة، تجعله يرى أبعد وأفضل وأعمق وأصدق.

وللنثر إيقاع ووزن وموسيقى، كالشعر تمامًا، يتحقّق باتّساق الكلمات، وسهولتها، ومناسبتها للمعنى، وانسيابيتها بأريحية أمام العين، دون "مطبّات"، أو حروف عطف ليست في مكانها، أو علامات ترقيم في المُطلق، أو كلمات ثقيلة توقّفك، وتقف حائلا بينك وبين الفهم والاستمتاع، ابحث عن هذه الموسيقى في أي جملة تكتبها، ولو لم تجدها، امسحها فورًا وابدأ من جديد.

وعندما سُئِل "إرنست هيمنجواي" عن أكثر ما يخيفه، قال: "ورقة بيضاء"، صاحب "العجوز والبحر" الذي سبق له أن نجا من الرصاص عندما كان يعمل مراسلًا حربيًا، وصارع ثورًا في إسبانيا، وخرج في رحلة

t.me/qurssan

صيد للحيوانات المفترسة في إفريقيا، ظل هاجسه الأكبر: ورقة بيضاء تتحدى قدرته على التعبير!

الكتابة عمومًا حالة "عفريتية" من الشغف والوله والاستبصار والجنون والحمق والرزانة والفقد والحلول والشجاعة والجبن والانتصار والخذلان والتبتل والمجون. مَن دَخلها فهو آمنٌ، ومن هجرها وعاد إلى خشبيّة الحياة فهو في محنة حتى يثوب إلى رَشَدِه.

t.me/qurssan

عن الكاتب

حسام مصطفى إبراهيم

كاتب وصحفي ومُحرّر ديسك ومُدقّق لُغوي ومُدرّب صحافة ولغة عربية.

صاحب مبادرة اكتب صح لتعليم اللغة العربية، ورئيس فريق المحتوى بوزارة الاتصالات المصرية، ومستشار اللغة العربية بوزارة البترول ومدير تحرير البرنامج الصباحي في قناة dmc news (سابقًا).

صدر له:

1. كتاب التعافي، مقالات، الطبعة الثانية عشرة، دار تويا.
2. لديّ الكثير جدًا لأقوله لكِ، مقالات، الطبعة الثالثة، دار تشكيل.
3. أسود لامع بطريقة غادرة، قصص، الطبعة الثانية، دار تشكيل.

t.me/qurssan

4. بتوقيت القاهرة، رواية، دار دوّن.
5. جرّ شكل، ساخر، دار المصري.
6. اللحاق بآخر عربة في القطار، قصص، دار اكتب.
7. يوميات مدرّس في الأرياف، ساخر، الطبعة الثالثة، دار اكتب.
8. من غلبي، ساخر، دار كيان.
9. قراءة في كف الحب، أدب رسائل، الطبعة الثانية، دار أجيال.
10. لولا وجود الحب، أدب رسائل، دار أجيال.
11. نعيق الغراب، مختارات قصصية ونقد أدبي، دار اكتب.

للتواصل

Hosammostafa_it@yahoo.com

فيس بوك

facebook.com/HosamMostafaEbrahem

t.me/qurssan

t.me/qurssan

الفهرس

نَزَعَات رُوحٍ 7

بعِلْمِ الوُصُولِ 51

صَدّ رَدّ 59

بيني وبين نفسي 75

دَرَجَاتٌ ودَرَكَاتٌ 113

في الطريق 129

بالعقل 145

t.me/qurssan

كتاب الونس

سنلتقي مرة أخرى في الحياة..
لكن ستكونين أكثر هشاشة وأكون أكثر قوة..
ذلك أنني لما خرجت منك، وتأملتك من بعيد، أدركت أنني من صنع كل شيء: الشوق والحكايات والوله والأساطير والوعود والأغنيات وألوان قوس قزح، فيما كنت أنت ضيف شرف طوال الوقت!
بأطراف أطراف قلبك تتذوقين، وبأطراف أطراف مشاعرك تفكين خط الحب، فيما انغرزت أنا فيك بلا نية في النجاة ولا بحث عن مرسى.. فغرقت.
لكن من غرق في بحر الحب طفا، ومن طفا غرق.
كلانا الآن ناج -إلى حين- في خضم بحر عربيد، لكنك تتمسكين بقشة، وأتمسك بحبل متين صنعته لحظاتي السعيدة رغم كل شيء معك، ويقيني أنني فعلت كل ما بوسعي لآخر نغزة في القلب، وعندما يرتفع الموج فلا عاصم من فوات الفرص إلا سفينة اليقين.
سفينتي.

حسام مصطفى إبراهيم
كاتب وصحفي ومحرر ديسك ومدقق لغوي ومدرب صحافة ولغة عربية
مؤسس مبادرة "اكتب صح"، ورئيس فريق المحتوى بوزارة الاتصالات المصرية.

تويا
دار تويا للنشر والتوزيع

فوتوغرافيا: نور المصري
تصميم الغلاف: عبير طوسون

t.me/qurssan